الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول

صلى الله عليه وسلم

للامام المحقق

محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي

الشهير ببحرق اليمني

المتوفى سنة ٩٣٠ هـ

رحمه الله

بتحقيق وتصدير

فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

تصدير

بقلم راجى عفو ربه

حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أجل الحمد وأوفاه ، والصلاة والسلام على أفضل رسل الله ، سيدنا محمد بن عبدالله ، الذى بعثه الله للعالمين رحمة ولهداية البشر اصطفاه ، وختم به النبيين فلا نبوّة بعده لأحد من خلق الله ، وأنزل معه الكتاب معجزة خالدة وتبيانا لما فيه سعادة الإنسان فى أولاه وأخراه ، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار ومن والاه « وبعد » فهذه رسالة مختصرة كنت كتبتها فى سنة ١٣٣٢ ﻫ فى (تعاليم الشيعة الاسماعيلية) . المعروفين فى التاريخ باسم (الباطنية والقرامطة والملاحدة) وهم من غلاة الشيعة، ولهم تاريخ حافل بالاحداث الجسام فى الممالك الإسلامية ودعوات خطيرة تهدف إلى المروق من الإسلام ، وإبطال ما شرعه الله من الأحكام ، كما أثبتت ذلك وثائق التاريخ وشهدت به الوقائع والأيام ومنها الكتب المؤلفة فى الملل والنحل وتاريخ الأمم وبلاد الإسلام ككتاب « الفرْق بين الفِرق » للامام أبى منصور عبد القاهر البغدادى[1] و (مقدمة)

---

(١) هو الإمام الكبير الفقيه الاصولى الأديب الشاعر أبو منصور عبد القاهر ابن طاهر بن محمد التميمى البغدادى من أهل خراسان ورد نيسابور مع أبيه أبى عبد الله طاهر واشتغل بالعلم ودرس سبعة عشر نوعا من العلوم ودرس على الأستاذ أبى إسحاق الاسفرائينى وأقعده مكانه للاملاء واختلف إليه الأئمة وقرءوا عليه كناصر المروزى، وأبى القاسم القشيرى صاحب الرسالة وخرج من نيسابور فى أيام=

العلامة الإمام عبدالرحمن ابن خلدون[1] وكتاب (الخطط المقريزية) « للامام تقى الدين أحمد بن على المعروف بالمقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ » وكتاب (المواقف) للامام عضد الدين الأيجى[2] (وشرحه) للسيد الشريف الجرجانى[3] وغير ذلك من المصادر العلمية والتاريخية الموثوق بها .

= التركمانية وفتنتهم إلى اسفراين فمات بها سنة ٤٢٩ هـ ودفن بجوار أبى إسحاق الاسفرائينى ، رحمهما الله .

وقد أثنى عليه كثيرا التاج ابن السبكى وعبدالغفار الفارسى والفخر الرازى وذكر ابن السبكى كثيراً من مؤلفاته ومن أنفعها كتاب الملل والنحل وكتاب أصول الدين المعروف بالتبصرة البغدادية اهـ ملخصا من تعليقات صديقنا العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا رحمه الله .

(١) هو أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى الاشبيلى الفيلسوف المؤرخ المولود سنة ٧٣٢ نشأ بتونس ورحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس ومصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق وولى فيها قضاء المالكية وتوفى فجأة بالقاهرة سنة ٨٠٨ ومقدمته تعد من أصول علم الاجتماع وترجمت هى واجزاء من تاريخه إلى الفرنسية وغيرها وله مؤلفات كثيرة .

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الايجى الاصولى من أهل أيج بفارس ولى القضاء بها . وله تلاميذ عظام وجرت له محنة مع صاحب كرمان فحبسه بالقلعة ومات بها سنة ٧٥٦ ومن تصانيفه خلاف المواقف العقائد العضدية والرسالة العضدية فى علم الوضع وجواهر الكلام وشرح مختصر ابن الحاجب فى الاصول وغيرها .

(٣) هو على بن محمد بن على المعروف بالشريف الجرجانى فيلسوف من كبار علماء العربية ولد فى تاكو (قرب استرا باد) ودرس فى شيراز ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩ فر الجرجانى إلى سمرقند ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور فاقام بها إلى أن توفى وله نحو خمسين مصنفا منها شرح المواقف والتعريفات وشرح كتاب الجغمينى فى الهيئة وشرح السراجية فى الفرائض وحواشى المطول وغير ذلك وتوفى سنة ٨١٦ هـ .

ولا زالت طوائف الشيعة « الاسماعيلية » داعية لمذهبها منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر، ومنها « طائفة النزارية » فى الهند وشرق أفريقيا ووسط آسيا التى يتزعمها « أغاخان » المعروف المدفون سنة ١٩٥٧ م بمقبرته التى أنشأها بأسوان فى الديار المصرية وهو مؤسس عصبة المسلمين الهنود سنة ١٩٠٦ لتأييدهم الحكم البريطانى بالهند ويتزعمها الآن ابنه من بعده وفى سيرتهما المشهورة فى أروبا وغيرها مايغنى كل باحث بصير، وطائفة (السليمانية) فى اليمن ويقال لهم المكارمه و « طائفة الداوودية » من بنى مرة اليمنيين ويقيمون فى عدن والحديدة وجبلى حَراز وهمدان وفى الهند وباكستان وأندونسيا والهند الصينية والحبشة ويسمون أيضاً البهرة ويتزعمها الآن سلطان البهرة المشهور بالهند كما ذكره العلامة المؤرخ خير الدين الزركلى فى كتابه الأعلام .

* * *

ثم أعدت الآن النظر فى هذه الرسالة – تهذيبا واختصارا – حينما فرغت من مطالعة كتاب (الحسام المسلول على منتقصى أصحاب الرسول) صلى الله عليه وسلم للامام محمد بن عمر بن مبارك الحميرى الحضرمى الشهير ببحرق اليمنى المتوفى سنة ٩٣٢ هـ الذى ألفه استجابة لأحد كبراء المسلمين فى اليمن حين استصرخه لتفنيد مزاعم داعية خطير من دعاة الاسماعيلية فى اليمن دأب على نشر ضلالاته فى البلاد لفتنة العباد وصدهم عن سبيل الرشاد .

وهو كتاب جليل واف بالغرض المقصود مشتمل على حجج قوية وبراهين دامغة تدحض تلك المفتريات الصارخة .

ثم فكرت فى تحقيقه والتعليق عليه وتبويبه ووضع ترجمات لمباحثه تبيانا للحق ولما فى دعوة هذه الفرقة الضالة من الخروج عن الإسلام وتحذيراً منها وتيسيرا على القارئين وأتممت ذلك بتوفيق الله تعالى فلله الحمد والشكر على نعمائه والله المسئول أن ينفع بهما ويجزل المثوبة عليهما بمنه وكرمه ؟

القاهرة فى { ٥ شوال سنة ١٣٨٦ هـ / ١٦ يناير سنة ١٩٦٧ م }

كتبه
حسنين محمد مخلوف

الفرق الاسلامية

قال الامام أبو الحسن سيف الدين على بن محمد بن سالم التغلبي الآمدى الأصولى المتوفى بدمشق سنة ٦٣١هـ ما خلاصته .

« كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقيدة واحدة وطريقة واحدة إلا من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق ثم نشأ الخلاف فيما بينهم فى أمور اجتهادية لا توجب إيمانا ولا كفرا وكان غرضهم منها إقامة مراسم الدين وإدامة مناهج الشرع القويم كاختلافهم فى قتال ما نعى الزكاة . حتى قال عمر رضى الله عنه « كيف نقاتلهم وقد قال عليه الصلاة والسلام « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم » ؟ فقال له أبو بكر رضى الله عنه « وهو الخليفة الأول » أليس قد قال صلى الله عليه وسلم « إلا بحقها » ؟ ومن حقها إقامة الصلاة وايتاء الزكاة . والله لو منعونى عقالا مما كانوا يؤدونه إلى النبى صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ثم اتفقوا بعد ذلك على قتالهم ، وكاختلافهم فى الإمامة بعده والارث عنه صلى الله عليه وسلم . وفى « الكلالة » وميراث الجد مع الإخوة وغير ذلك من الأحكام الفروعية .

وكان الخلاف يتدرج ويتسع شيئا فشيئا إلى آخر أيام الصحابة حتى ظهر «معبد الجهنى[1] وغيلان الدمشقى[2] وعلى الأسوارى » . وخالفوا فى القدر وإسناد جميع الأشياء إلى تقدير الله تعالى .

(١) هو معبد بن عبد الله بن عويم الجهنى البصرى أول من تكلم فى القدر بالبصرة قدم المدينة فافسد فيها أناسا كثيرين وخرج مع ابن الاشعث على الحجاج فقتله سنة ثمانين .

(٢) هو ابن مسلم القبطى أخذ مذهب القدرية عن معبد واستتابه عمر بن عبد العزيز فلما مات عمر جاهر برأيه فقتله هشام بن عبد الملك بفتوى الامام الاوزاعى سنة ١٠٥ بدمشق .

ولم يزل الخلاف يتشعب والآراء تتفرق حتى تفرق أهل الإسلام وأرباب المقالات إلى ثلاث وسبعين فرقة كما جاء في الحديث[1] اه باختصار .

الفرق الإسلامية

والفرق الخارجة عن الإسلام

قال البغدادى فى « الفرق بين الفرق » : (إن اسم ملة الإسلام واقع على كل من أقر عن اعتقاد ويقين بحدوث العالم . وتوحيد صانعه وقدمه وعدله وحكمته وسائر صفاته وأسمائه وتقديسه عن كل مالا يليق به سبحانه . وتنزيهه عن الشبه والتعطيل ، وأقر بنبوة جميع أنبيائه وبملائكته وبصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الخلق كافة ، وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق ومنها السمعيات ، وأن القرآن منبع أحكام الشريعة . وبوجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة والزكاة والصوم والحج .

فمن اعتقد ذلك وأقر به فهو من أمة الإسلام وهو الناجى فى الآخرة فإذا شاب إيمانَه ببدعة فإن كانت من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الشيعة الإمامية أو الزيدية أو أشباههم ممن لم يَغلُ ، فهو من أهل ملة الإسلام فى بعض الأحكام .

وإن كانت بدعته مكفِّرة كبدع الباطنية والحلولية وبعض أصحاب التناسخ والزاعمين نسخ شريعة الإسلام آخر الزمان ، ومن يحرِّم ما أباحه القرآن أو يحلُّ ما حرمه بنصٍّ لا يحتمل التأويل وأشباههم فإنه ليس من أمة الإسلام فى شىء) .

---

(١) لهذا الحديث أسانيد كثيرة استوفى الكلام عليها الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الكشاف اه .

ثم ذكر الفرق الرئيسية التى تعد من أمة الإسلام ، والفرق الرئيسية التى تنتسب إلى الإسلام وليست منه فى شىء وعدّ هذه عشرين فرقة وهى :

« السبائية ، والبيانية ، والحربية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجناحية ، والخطابية ، والغرابية ، والمفوضية ، والحلولية وأصحاب التناسخ ، والخابطية ، والحمارية ، والمقنعية ، والرزامية ، واليزيدية ، والميمونية ، والحلاجية ، والعذافرية ، و « الباطنية » .

وربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافا كثيرة بحسب مزاء أصحابها اه ملخصا .

ثم ذكر هذه الفرق على التفصيل فى فصول مرتبة .

ولا يعنينا هنا من الفرق إلا فرقة الشيعة « الاسماعيلية الباطنية » وهى من غلاة الشيعة باتفاق الباحثين .

مذهب الشيعة وفرقها

من كبار الفرق الإسلامية فرقة الشيعة الذين شايعوا « عليا » رضى الله عنه وقالوا ـ كما جاء فى « المواقف وشرحها » ـ إنه الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالنص الجلى أو الخفى وأن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيرهم أو بتقية منه أو من أولاده اه .

وذكر ابن خلدون فى « مقدمته » أنهم ذهبوا إلى أن الإمامة الكبرى ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم ، كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة بل هى عندهم ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز للنبى إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بعده بل يجب عليه تعيين إمام لهم بعده معصوم من الكبائر والصغائر ، وأنه صلى الله عليه وسلم قد عين عليا

للخلافة بعده فهو الخليفة بعده دون أبي بكر وعمر وعثمان ، واستندوا في ذلك إلى نصوص ما بين موضوع مفترى ومؤول على حسب الهوى اه .

وفي المواقف : أن الشيعة افترقوا إلى اثنتين وعشرين فرقة يكفر بعضها بعضا ، واصولهم ثلاث فرق (زيدية ، وإمامية ، وغلاة) ، والزيدية ينتسبون إلى زيد[1] بن علي زين العابدين بن الحسين السبط رضي الله عنهم وهم ثلاث فرق وأكثرهم باليمن ، والإمامية وهم فرق أيضاً ، والغلاة ثمان عشرة فرقة منهم (الاسماعيلية الباطنية) وجميع الغلاة خارجون عن ملة الإسلام اه ، ثم ذكر هذه الفرق وبين نحلها .

الشيعة الامامية

وفي «المواقف» ما خلاصته أنهم يقولون بالنص الجلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمامة « علي » بعده . دون أبي بكر وعمر وعثمان . ويقعون في الصحابة رضي الله عنهم وخاصة في الشيخين بالقول الفاحش ويسوقون الإمامة من « علي » إلى ابنه « الحسن »[2] ثم إلى ابنه « الحسين »[3] ثم إلى ابنه « علي زين العابدين » ثم إلى ابنه « محمد الباقر » ثم إلى ابنه « جعفر الصادق » ثم إلى ابنه « موسى الكاظم » ثم إلى ابنه « علي الرضا » ثم إلى ابنه « محمد التقي » ثم إلى ابنه « علي النقي » ثم إلى ابنه « الحسن الزكي » ثم إلى ابنه « محمد العسكري » وهو الإمام الثاني عشر - ويسمون

---

(١) استشهد رضي الله عنه بالكوفه سنة ١٢١ هـ .

(٢) هو سبط الرسول صلى الله عليه وسلم وريحانته توفي مسموما سنة ٤٩هـ .

(٣) هو سبط الرسول صلى الله عليه وسلم وريحانته ولد بالمدينة سنة ٤ هـ واستشهد بكربلاء سنة ٦١هـ .

الاثنى عشرية ا هـ ، وقد يسمون « الجعفرية » .

وتشعب متأخروهم إلى فرق بعضها من الفرق الضالة . وهم الآن فى إيران والعراق .

الشيعة الإسماعيلية

أما الشيعة الاسماعيلية فالامام عندهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو على ، ثم ابنه الحسن ، ثم ابنه الحسين ، ثم ابنه على زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ويسوقون الإمامة من « جعفر الصادق » المتوفى بالمدينة سنة ١٤٨ هـ إلى ابنه (اسماعيل) وهو الإمام السابع (دون موسى الكاظم الذى يذهب الشيعة الامامية إلى أنه الإمام « السابع بعد أبيه جعفر الصادق ») . ثم إلى ابنه محمد المكتوم « المتوفى سنة ١٩٨ هـ ببغداد . ثم إلى ابنه جعفر المصدق المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، ثم إلى ابنه محمد الحبيب المتوفى سنة ٢٧٠ ، ثم إلى ابنه عبيدالله الملقب بالمهدى مؤسس دولة العلويين بالمغرب . وجد العبيديين للفاطميين أصحاب مصر على ما ذهب إليه كثير من المؤرخين .

وهؤلاء يسمون الشيعة « الاسماعيلية » نسبة إلى اسماعيل الإمام السابع .

وفى « الفرق بين الفرق » أن الذين ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه اسماعيل افترقوا فرقتين فرقة منتظرة لاسماعيل (لزعمها أنه لم يمت إلى الآن) مع اتفاق المؤرخين على موته فى حياة أبيه جعفر سنة ١٤٣ هـ ، وفرقة تقول إن الإمام بعد جعفر هو محمد ابن ابنه اسماعيل حيث ان جعفرا نصب ابنه اسماعيل للامامة بعده ، فلما مات اسماعيل فى حياة أبيه علمنا انه نصب ابنه اسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل ، وإلى هذا القول يميل الاسماعيلية الباطنية وسنذكرهم فى غلاة الشيعة بعد هذا اهـ .

فيكون الإمام السابع على هذا هو محمد بن اسماعيل وسيأتى ذكره فى ترتيب الدعوات وهو أول الأئمة المستورين ولذا لقبوه بالمكتوم لاتفاقهم على إخفائه خوفا عليه من الخلفاء العباسيين ، والثانى ابنه جعفر المصدق ، والثالث ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق .

وقالوا إن الإمام إذا لم يكن له شوكة ومَنَعة يستتر وتظهر دعاته إدامة للحجة على الناس . وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته . . ولما آلت الخلافة بعد موت محمد الحبيب إلى ابنه عبيد الله وكانت له منعة ظهر وأظهر دعوته وتم له ملك القيروان والمغرب وتلقب بالمهدى وخطب له على المنابر وبنى «المهدية» بالقيروان وملك أبناؤه من بعده مصر وهم الفاطميون » .

وقد أوضح المقريزى ذلك بقوله : كان محمد الحبيب بن جعفر المصدق يؤمل ظهوره وأن تصير له دولة وكان باليمن من أهل هذا المذهب كثير ، وبعدن وبأفريقية وكتامة بالغرب من عهد جعفر الصادق فقدم عليه رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن فرج بن حوشب الكوفى سنة ٢٦٨ﻫ فأظهرا أمرهما باليمن وأشهرا الدعوة سنة ٢٧٠ﻫ وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث دعاته فى أقطار الأرض وكان منهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى الملقب بالمعلم وكان من الدهاة الشجعان فسيره إلى المغرب فخرج حاجاً وقصد حجاج كتامة واختلط بهم ثم صحبهم إلى كتامة فى منتصف ربيع الأول سنة ٢٨٨ ﻫ وعظم أمره فيهم ، ثم توفى محمد الحبيب بعد أن عهد بالامامة بعده لابنه « عبيد الله » فدعا إلى إمامته أبو عبد الله الشيعى « فطلبه المكتفى العباسى وكان عبيد الله يسكن « عسكر مكرم » فسار إلى مصر ثم إلى الشام ثم إلى المغرب . وأقام بسجلماسه هو وابنه أبو القاسم نزار فقبض عليهما صاحبها اليسع بن مدرار وزجهما فى السجن .

ولما تغلب أبو عبد الله الشيعى على بنى الأغاب وملك القيروان ونزل

برقادة « مستهل رجب سنة ٢٩٦هـ » سار منها فى شهر رمضان من هذه السنة فى جيوش عظيمة اهتز لها المغرب بأسره إلى سجلماسة وقهر صاحبها حتى فر منها فى خاصته . ودخلها فاتحا . وأخرج عبيد الله وابنه من السجن ومشى فى ركابهما بجميع رؤساء القبائل حتى وصل بهما إلى فسطاط ضربه بالمعسكر فأنزلهما فيه وتعقب صاحب سجلماسة فأدركه وقتله .

وأقام عبيد الله بسجلماسة « أربعين يوماً » ثم سار إلى أفريقية فى ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ ونزل برقادة عاصمة آخر ملوك الأغالبة وخطب له على المنابر وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين . فدعى له فى جميع البلاد بذلك ودعا الدعاة الناس إلى مذهبهم ونظم الملك ودوّن الدواوين وجبى الأموال ودانت له البلاد فشق ذلك على أبى عبد الله الشيعى وأخيه أبى العباس ونافساه وحقدا عليه ووقعا فيه ودبرا قتله فقتلا بأمر عبيد الله المهدى فى منتصف جمادى الآخرة سنة ٢٩٨هـ بمدينة رقادة واستقام له الأمر وبنى المهدية بالقيروان وأقام لها سوراوجعل فيه أبواباً زنة كل مصراع منها مائة قنطار من الحديد واتخذهامقراً لملكه .

وكان ابتداء بنائها فى ذى القعدة سنة ٣٠٣ هـ وبنى المصلى بظاهرهاوجهز جيشا بقيادة ابنه أبى القاسم إلى مصر سنة ٣٠٦ فأخذ الأسكندرية وجزيرة الاشمونين وكثيرا من بلاد الصعيد ثم عاد إلى المغرب .

وفى منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ توفى عبيد الله المهدى بالمهدية عن ثلاث وستين سنة وكانت مدة إمامته أربعا وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً اهـ ملخصا .

وهو كما قدمنا مؤسس دولة العبيديين بالمغرب وجد الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدى إلى أن مات العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله وهو آخرهم ٢٧٢ سنة وأياما ، منها بمصر ٢٦٨ سنة فسبحان الدائم الباقى .

تنبيه

وقع بين المؤرخين خلاف كبير فى (عبيد الله المهدى) هل هو حقيقة ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدق الذى ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب والسيدة فاطمة الزهراء فيكون من السلالة النبوية ، أو هو دعىٌّ فى هذا النسب وهو فى الواقع سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان المعروف بالقداح الأهوازى المجوسى الأصل فغير اسم نفسه ونسبه وزعم لاتباعه أنه عبيد الله بن محمد بن جعفر المصدق .

ذهب إلى القول الأول جمع منهم الإمام المقريزى فى الخطط وهو ما ذكرناه فى صدر البحث واعتمدناه .

وذهب إلى الثانى الإمام البغدادى فى الفرق بين الفرق وآخرون وقال صديقنا العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى رحمه الله فى تعليقه عليه : وجمهور أهل العلم على أنه دعىّ فى النسب إلى آل البيت بل هو سليل ميمون القداح كما يظهر من كلام أبى عبد الله بن رزام من علماء القرن الرابع وثقات أصحاب أبى الحسن الكرخى وابن الاخشيد وهو متقدم بدهر على إصدار المحضر المعروف من بغداد إذ ألف كتابه حوالى سنة ٣٣٣ هـ ثم رد على المقريزى اهـ ملخصاً وهو يشير إلى ذلك المحضر الذى حرر فى بغداد بتوقيع من أئمة الإسلام إذ ذاك بنفى نسبه من الشجرة النبوية فى سنة ٤٠٢ هـ أيام الخليفة القادر العباسى ومنهم الشريفان الرضى والمرتضى وأبو حامد الأسفرايني والقدورى .

وقد ذكره المقريزى وقال إنهم شهدوا على السماع من شيعة العباسيين وهم خصوم الفاطميين .

وكيفما كان الواقع فالشيعة الإسماعيلية غلاة فى عقيدتهم مارقون من الإسلام باتفاق المؤرخين يدينون بما لا يمكن أن يقوله آل بيت النبوة أو

يرضوا به بحال وأما تشيعهم لآل البيت فظاهر أنه ليس حبا فى على ولا فى أبنائه ولا فى آل البيت وإنما هو ذريعة دبروها لبلوغ أهدافهم الخبيثة التى يسرونها ولا يظهرونها إلا لمن أخذوا عليه العهود والمواثيق ألا يفشى لهم سراً وستذكرها فيما بعد .

ألقاب الإسماعيلية

والطائفة الإسماعيلية سبعة ألقاب :

(١) الباطنية . لقولهم إن للقرآن ظاهرا وباطناً . والمراد باطنه ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر والمتمسك بظاهره معذب بالمشقة فى الاكتساب وباطنه مؤد إلى ترك العمل بظاهره .

(٢) القرامطة : نسبة إلى داعية خطير إلى مذهبهم ورئيس من أكبر رؤسائهم يسمى (حمدان قرمط) « وقرمط إحدى قرى واسط » .

(٣) الخرُمية : لاباحتهم المحرمات والمحارم .

(٤) السبعية : لزعمهم أن النطقاء بالشرائع سبعة : (آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام) . ومحمد سابع النطقاء « يعنون محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق » وبين كل اثنين من السبعة النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته يسمون الصامتين كما سيأتى .

ولا بد فى كل عصر من سبعة بهم يقتدى ويهتدى فى الدين وهم :

(ا) إمام يؤدى عن الله وهو غاية الأدلة إلى دين الله .

(ب) وحجة يؤدى عن الإمام ويحمل علمه ويحتج به له .

(ج) وذو مصة يمص العلم من الحجة .

وأبواب وهم أربعة :

(د) داع أكبر يرفع درجات المؤمنين عنده .

(ه) وداع مأذون . يأخذ العهود على الطالبين من أهل الظاهر ليدخلهم في ذمة الإمام ويفتح لهم باب العلم والمعرفة .

(و) ومكاب ارتفعت درجته في الدين ولكن لم يؤذن له في الدعوة بل في الاحتجاج على الناس والترغيب في الداعي .

(ز) ومؤمن يتبع الداعي وهو الذي أخذ عليه العهد وآمن به وأيقن بالدعوة ودخل في ذمة الإمام وحزبه .

وذلك كالسموات السبع والأرضين السبع وأيام الأسبوع والكواكب السبعة السيارة .

(٥) والبابكية : لاتباع طائفة منهم « بابك الخرمى » الذى ظهر في جبل البدين بناحية آذربيجان واستباح هو وأتباعه المحرمات وقتلوا كثيرا من المسلمين وحارب خلفاء بنى العباس إلى أن قتل هو وأخوه اسحاق بن إبراهيم بسر من رأى في عهد المعتصم العباسى قال ابن حزم وهم شر مذهب الاسماعيلية ومن كان على قول القرامطة وبنى عبيد وعنصرهم اه .

(٦) والمحمرة : للبسهم الثياب الحمراء في أيام « بابك » .

(٧) والاسماعيلية : لاثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق . وقيل لانتسابهم إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق اه من المواقف وشرحها .

قال ابن خلدون : وكما يسمون الاسماعيلية والباطنية لقولهم بالامام الباطن أى المستور يسمون (الملحدة) لما في ضمن مقالتهم من الإلحاد اه .

نحلة الإسماعيليه الباطنيه

قال البغدادى في الفرق بين الفرق : إن الإسماعيلية الباطنية من غلاة الشيعة وهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع وينكرون

الرسل والشرائع والبعث والجزاء والمعجزات ويستبيحون سائر المحرمات ويؤولون الشرائع كتأويلهم الصلاة بموالاة الإمام والحج بزيارته والصوم بالإمساك عن إفشاء سره والزنى المحرم بإفشاء سرهم بغير عهد وميثاق إلى غير ذلك .

ودعوتهم مارقة عن الإسلام ويكفرون أبابكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة وأن ضررهم على الإسلام أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس ، وقد جاء فى رسالة عبيدالله بن الحسين القيروانى إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنّابى شيء كثير من هذا وغيره مما هو أفحش ، ومن زعمائهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح . وكان مجوسيا من سبي الأهواز وابنه عبد الله وعبيد الله بن الحسين القيروانى ومحمد بن الحسين الملقب بدندان وحمدان بن الأشعث الملقب بقرمط ومحمد بن أحمد النسفي المعروف بالبزدوى صاحب كتاب المحصول وابو يعقوب السجزى المعروف ببندانه صاحب كتاب تأويل الشرائع وكتاب كشف الأسرار وغيرهما .

ودعوتهم ترمى إلى إحياء المجوسية وسبيلهم لذلك تأويل القرآن والسنة وقولهم إن للكتاب ظاهرا و باطنا وأن ظاهره عذاب و باطنه رحمة اه ملخصا .

* * *

وقال العضد فى المواقف وشارحها :

إنهم من غلاة الشيعة وأصل دعوتهم إبطال الشرائع ورأسهم فى ذلك حمدان قرمط وقيل عبد الله بن ميمون القداح وانهم قد اجتمعوا فتذكروا ما كان عليه أسلافهم المجوس من الملك والسلطان وأنه لا سبيل لهم إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك فلا بد أن يحتالوا بتأويل شرائع الإسلام إلى ما يعود إلى قواعدهم واستدراج عوام المسلمين وضعفائهم اليها ولا بد أن ذلك يذهب ريحهم و يضعف شأنهم و يسهل بعد ذلك أمرهم اه ملخصا بإيضاح .

تاريخ بعض مؤسسى مذهب الإسماعيلية

ويحسن بنا أن نذكر هنا نبذة من تاريخ بعض مؤسسى مذهب الإسماعيلية الباطنية ودعاتهم نقلا عن المصادر التاريخية الوثيقة فنقول :

قال العلامة المقريزى : إن ابتداء هذه الدعوة ينسب إلى (ميمون بن ديصان القداح) وكان مجوسياً من سبى الاهواز وكان مولى لجعفر الصادق ومن غلاة الشيعة وإليه تنسب فرقة الميمونية .

وكان له ولد اسمه (عبد الله) اطلع على مقالات المنحرفين عن الإسلام والفلاسفة الأقدمين وأعجب بها فانتحل مذهب الباطنية على هذه المبادىء ودعا إليه ورتب الدعوة إليه فى مراتب متتابعة تنتهى بمن يستجيب لها إلى اعتناق مذهبه والخروج من الإسلام .

وجعل مفتاحها الدعوة إلى إمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وأظهر دعوته بالأهواز وأثرى بها واشتهر. ولما أنكر عليه الناس وهمّوا به فرّ إلى البصرة ومعه من أصحابه الحسين الأهوازى ثم إلى الشام وأقام بسلَمية من بلاد سوريا .

وبعد موته قام بالدعوة ابنه (أحمد) وسيَّر الحسين الاهوازى داعية إلى العراق فلقى (حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط) فدعاه واستجاب له وكان من أمره ماهو مذكور فى أخبار القرامطة .

ولما مات أحمد قام بالدعوة بعده ابنه (الحسين) ثم ابنه الآخر (محمد أبو الشلعلع) وكان من أمرهما ماهو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب وانتشرت الدعوة فى الأقطار ووضعت لها الكتب وصارت علما مدونا ثم اضمحلت بموت أهلها اه ملخصا .

* * *

ومن المؤسسين لهذا المذهب (محمد بن الحسين الملقب بدندان) من أهالى الـكرخ ، اجتمع هو ورفاقه مع (ميمون القداح) فى سجن والى العراق فأسسوا فيه مذهب الباطنية ثم أظهروا دعوتهم بعد الخروج من السجن فاستجاب لها بعض أكراد الجبل وأهل جبل البدين ودخل فى دعوتهم (حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط) ثم أصبح رئيساً من رءوس المذهب وعرف أتباعه باسم القرامطة.

ولما مات دندان قام بعده بالدعوة (أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنّابى) « نسبة إلى جنّابه من بلاد فارس » القرمطى وكان دقاقا ونفى من جنّابه فأقام بالبحرين .

وجعل يدعو العرب إلى مذهبه فعظم أمره فحاربه الخليفة فظفر الحسن ثم صافاه المقتدر العباسى واستولى على سائر بلاد البحرين ثم قتله خادم له صقلابى راوده عن نفسه فى الحمام سنة ٣٠١ هـ اهـ . أعلام . والفرق بين الفرق .

* * *

(ومنهم) حفيد لميمون القداح اسمه (أبو القاسم بن مهرويه القرمطى) خرج بالشام داعية سنة ٢٨٩هـ ودخل أتباعه الرصافة وقتلوا كثيرا وأحرقوا مسجدها الجامع ثم قصدوا دمشق فحاربهم جيش الخليفة المـكتفى فهزمهم إلى الرقة ثم إلى الرملة فتعقبهم الجيش وأسر هو وأتباعه وقتلوا ببغداد .

* * *

ثم خمدت شوكة القرامطة إلى سنة ٣١٠ وظهر بعدها (أبو طاهر سليمان ابن الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى) .

وهو طاغية جبار وصفه الإمام الذهبى بأنه عدوّ الله ، وابن الأعرابى بأنه زنديق استولى أبوه على هجر والاحساء وقطيف وسائر بلاد البحرين ثم هلك سنة ٣٠١ فولى ابنه مكانه ووثب على البصرة سنة ٣١١ فنهبها وسبى نساءها

ثم أغار على الكوفة فى عهد المقتدر العباسى سنة ٣١٢ فنهبها ثم استولى على الرحبة وربض الرقة ودعا إلى المهدى وأغار على مكة يوم التروية سنة ٣١٧ والناس محرمون فاقتلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر ونهب أموال الحجاج وقتل الكثيرين منهم فى الطواف وعرّى البيت الحرام وأخذ بابه وردم زمزم بالقتلى وعاد إلى هجر فألّهه بعض أصحابه وزعم بعضهم أنه المسيح ثم هلك بالجدرى فى هجر سنة ٣١٨ .

أما الحجر الأسود فقد أرسل من هجر إلى الكوفة ثم رد منها إلى مكة على يد أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيي المزكى النيسابورى سنة ٣٣٩ اه أعلام والفرق بين الفرق .

* * *

(ومنهم) (ابن أبى زكريا الطامى القرمطى) الذى ظهر بالإحساء والبحرين بعد سليمان بن الحسن سنة ٣١٩ فأفسد فى البلاد وسن لأتباعه اللواط وأوجب قتل الغلام الذى يأباه وأمر بقطع يد من أطفأ نارا بيده ولسانَ من أطفأها بنفخه لتقديسه النار التى يعبدها المجوس وقد طالت فتنته حتى سلط الله عليه من ذبحه على فراشه اه من الفرق .

* * *

وفى « الموسوعة العربية الميسرة » : أن القرامطة أصحاب دعوة زعزعت العالم الإسلامى سنة ٩٠١ . وكان رأسهم (حمدان بن الأشعث القرمطى) انتشرت دعوته الاسماعيلية باليمن سنة ٩٠٤م بواسطة (على بن الفضل الحميرى) اليمنى الأصل ومنصور بن حسن الكوفى واستولى الأول على ذمار وصنعاء سنة ٩٠٦ م وتغلب على جيوش الهادى العباسى وقامت فى اليمن حروب كثيرة واستباح كثيرا من المحرمات وادعى النبوة ولم تهدأ البلاد إلا بموته مسموما فى سنة ٩١٥ م .

وأما منصور بن حسن فقد تغلب على جزء من اليمن واتخذ مركزه في (مسور) .

وللقرامطة أتباع يعرفون باسم (المكارمة) أو الباطنية ، وكثير منهم يعيش في حَراز وعلى مقربة من صنعاء وقد قضى على نفوذهم الإمام ابن حميد الدين بعد تواليه الملك باليمن اهـ .

(على بن الفضل)

قال في ترجمته العلامة الزركلي : إنه أحد المتغلبين على اليمن ، وكان أول ظهوره في (مسور) في كوكبان باليمن وأظهر دعوته للمهدي المنتظر سنة ٢٩٠ هـ فتبعه كثيرون وملك ملكا ضخما وقتل كثيرين واستولى على الجبال والتهائم ثم دخل زبيد وصنعاء وأدعى النبوة وأباح المحرمات ومات مسموما سنة ٣٠٣ هـ (وسيأتى بعض فضائحه في الكتاب) .

وفي كتاب المسجد المسبوك : أنه من ولد خنفرى بن سبأ بن ضبعى رحل من اليمن إلى الكوفة وتعلم مذهب الاسماعيلية وعاد إلى اليمن داعيا اهـ .

وفي كتاب الحور العين : أنه استولى على كثير من مخاليف اليمن وهو أول من سنّ القرمطة أى الزندقة بلسان أهل اليمن اهـ .

وفي نزهة المجالس : أنه صاحب الأبيات المشهورة التي أولها :

* خذى الدف ياهذه واضربى *

وستأتى في الكتاب وقد تمثل بها المعرى في رسالة الغفران طبعة المعارف ٣٧٣ وهو في كشف أخبار الباطنية « الجدنى » نسبة إلى ذى جدن من سبأ .

وفيه : كان أول أمره إماميا أثنى عشريا من أهل جيشان وحج وزار الكوفة ولقى فيها ميمونا القداح وولده عبد الله وأدخله ميمون في مذهب

القرمطة فعاد إلى اليمن وأظهر التنسك والعبادة ودعا الناس إلى ترك المعاصى فالتفوا حوله ووجههم إلى بعض الجهات فحاربوا وغنموا وأفهمهم أن هذا جهاد لأهل المعاصى حتى يدخلوا فى الدين واشتد بأسهم وعظم أمرهم فى بلاد يافع وأطاعته قبائل مذحج وزبيد وغيرها واستولى على بلاد يحصب ثم دخل صنعاء وأظهر فيها مذهبه ودعوته (التى أخفاها بالتنسك الكاذب) اه بإيضاح .

مراتب الدعوة عند الباطنية الإسماعيلية

نظم الاسماعيليون دعوتهم إلى نحلتهم تنظيما دقيقا فجعلوها على مراحل متعاقبة بحيث لا يترك الداعى مرحلة إلى أخرى حتى يتأكد من بلوغ غايته فى السابقة وتهيؤ المدعو لتلقى الدعوة اللاحقة وهو فى كل مرحلة يؤكد ويكرر ويسوق الشواهد والدلائل من الآيات التى يؤولها على مايوافق هواه ومن غير الآيات حسبما يراه ولا يستطيل الزمن ولا يمل التكرار ولا يقصر عن جهد فى ذلك .

وقد أعدوا للدعوة دعاة ماهرين مدربين على غاية من الذكاء والفطنة والخبرة بأحوال العامة وطبائع النفوس ونزعاتها وطرق اجتذابها والتأثير فيها مع التدرج والأناة والرفق والاحتيال فى كل ذلك .

فإذا المدعوُّ فى آخر مراحلها قد انخلع مما ألفه وشبّ عليه وانجذب وأنقاد لما ألقى إليه .

وإذا هو قد خلع من عنقه ربقة الاسلام . واستحال زنديقا باطنيا يكره الحلال ويعشق الحرام :

وقد نظموا الدعوة فى عهد الدولة الفاطمية بمصر تنظيما أوفى وأدق فجعلوها تسع مراتب آخذا بعضها برقاب بعض كل مرتبة تنبنى على ما قبلها وتمهد

لما بعدها وكلها تقوم على التشكيك والتلبيس والخداع ومسخ الحقائق والاشادة بتعاليم الفلاسفة الاغريقيين التى لاتستند إلى برهان صحيح ولا شرع منزل ، وعلى أن للقرآن ظاهراً وباطنا ، وأن للشريعة أسراراً خاصة وتأويلات لا يعلمها سوى الأئمة ومن يصطفونه من الدعاة ، وأنها رموز وإشارات لا يعرفها إلا أهلها المقربون ، وغايتها التى يهدفون إليها التحلل من جميع التكاليف الشرعية والإباحة العارمة .

ولا بأس أن نذكر خلاصة هذه الدعوات ومراتبها نقلا عن العضد والبغدادى والمقريزى ، والأخير خاص بنظام الدعوة فى عهد الفاطميين بمصر .

* * *

قال صاحب المواقف : للدعوة عند الشيعة الاسماعيلية مراتب متتابعة :

(الأولى) الذوق . وهو تفرُّس حال المدعو لمعرفة قبوله للدعوة أو عدمه ولذلك يقولون : تورية ـ لاتلق البذر فى الأرض السبخة . ولا تتكلم فى بيت فيه سراج .

(الثانية) التأنيس . باستمالة كل مدعوٍّ بما يميل إليه هواه وطبعه ولو بالمحرمات .

(الثالثة) التشكيك فى أركان الشريعة بقولهم : ما معنى الحروف المقطعة فى أوائل السور . وقضاء الحائض الصوم دون الصلاة . والغسل من المنى دون البول . واختلاف عدد الركعات فى الصلاة ؟ وغير ذلك . ثم طىُّ الجواب عن ذلك . ليتعلق قلب المدعو بمراجعتهم والاستفادة منهم .

(الرابعة) الربط : وهو أخذ الميثاق على المدعو ـ كما أخذ على النبيين ميثاقهم ـ بألا يفشى لهم سرا ثم حوالته على الإمام لحل ما أشكل عليه .

(الخامسة) التدليس . وهو دعوى موافقة أكابر الدنيا والدين لهم حتى يزداد ميله إلى مادعى إليه .

(السادسة) التأسيس : وهو تمهيد مقدمات يقبلها المدعو ويسلمها .

(السابعة) الخلع : وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال التكليفية البدنية .

(الثامنة) السلخ : عن الاعتقادات الدينية . وحينئذ يأخذون فى إباحة المحرمات بأسرها والحث على استعجال اللذات وتأويل الشرائع .

* * *

وحين ظهر (الحسن بن محمد الصباح) جدد الدعوة على أنه « الحجة » ومنع العامة من الخوض فى العلوم والخواصَّ من النظر فى الكتب المتقدمة كيلا يطلعوا على فضائحهم. ولم يزالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأمور الشرعية فاسقطوا التكاليف وأباحوا المحرمات . وكثرت شوكتهم وأظهروا الفساد فى الأرض : اه ملخصا من المواقف .

* * *

وقال فى الاعلام (الحسن بن الصباح بن على الاسماعيلى)المولود سنة ٤٢٨ هـ والمتوفى سنة ٥١٨ هـ داهية شجاع أصله يمنى من حمير ولد فى مرو وتتلمذ لأحمد بن عطاش من أعيان الباطنية فى عهد ملكشاه السلجوقى ثم كان مقدم الاسماعيلية باصبهان وطاف البلاد ودخل مصر وأكرمه المستنصر الفاطمى فعاد داعيا إلى إمامته فى الشام والجزيرة وديار بكر والروم وخراسان وماوراء النهر ثم استولى على قلعة ألموت بنواحى قزوين وضم اليها عدة قلاع وبقى بها إلى وفاته وهو صاحب الدعوة النزارية (نسبة إلى نزار بن المستنصر لدين الله الفاطمى ولم يخلص المسلمين من شره إلا هولاكو المغولى سنة ١٢٥٦ م كما فى الموسوعة العربية الميسرة) وكان من كبار الزنادقة ودهاة العالم ومن بقاياهم اليوم فى الهند الأغاخانية

يتزعمونها بالوراثة ولهم كتب ضالة وهو رأس فرقة الحشاشين والفدائية اه

* * *

وقال ابن خلدون : وللاسماعيلية مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح فى آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيهما إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانقرضت ، ومثالبه مذكورة فى كتب الملل والنحل اه .

* * *

وقال البغدادى : إن مراتب الدعوة عندهم هى التفرس والتأنيس والتشكيك والربط والتعليق والتدليس والتأسيس وأخذ العهود والمواثيق بالأيمان المغلظة الكثيرة وآخرها الخلع والسلخ بالتأويلات للنصوص التشريعية التى تنتهى بالزندقة واستباحة المحرمات وترك العبادات وابطال شرائع الاسلام اه

ثم أسهب فيها القول فأرجع اليه إن شئت .

كلام المقريزى فى الدعوة الإسماعيلية بمصر ومراتبها

قال المقريزى ماخلاصته : إنه كان من المناصب الكبرى التى استحدثتها الدولة الفاطمية بمصر منصب داعى الدعاة وكان يلى فى الرياسة قاضى القضاة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره ، وله نواب كنواب الحكم فى سائر البلاد ، وله أثنا عشر نقيبا . ويحضر اليه فقهاء الدولة فى مكان يدعى (دار العلم) وتجرى على المتصدرين منهم أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يدوّنون مايراد نشره فى دفتر (سجل) يدعى (مجلس الحكمة) ثم يعرضونه عليه فى كل يوم أثنين وخميس فيعرضه على الخليفة لامضائه بخطه ثم يجلس بالقصر فى هذين اليومين لتلاوته على الناس فى مكانين ، للرجال على كرسى الدعوة بالايوان الكبير ، وللنساء بمجلس

الداعى وهو من أعظم المبانى وأوسعها فاذا فرغ من التلاوة أقبل الحاضرون عليه يقبلون يديه فيمسح رءوسهم بموضع خط الخليفة ويأخذ النجوى من كل واحد وهى ثلاثة دراهم وثلث درهم ثم يقدم ما اجتمع منها إلى الخليفة فيعطيه منها مايعينه لنفسه وللنقباء .

ومن يقدم له ٣٣⅔ ديناراً على حكم النجوى برقعة مكتوب عليها اسمه يتميز فى المجلس و يعطى كتابا بخط الخليفة فيه « بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك » فيدخره عنده ويفاخر به، وكان داعى الدعاة يفرد للخاصة وشيوخ الدولة وخدم القصور مجلسا ، ولعوام الناس والطارئين على البلد مجلسا وللنساء فى الجامع الأزهر مجلسا، وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا و كان يعمل المجالس فى داره ثم ينفذها إلى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتبا يبيضونها بعد عرضها على الخليفة ويقبض فى كل اجتماع مايقدم من النجوى ويدفعه إلى بيت المال تباعا وكانت هذه المجالس تسمى (مجالس الحكمة) :

ثم ذكر الدعوات التسع على الترتيب وهى :

(الدعوة الأولى) :

يبدأ الداعى بسؤال المدعو عن المشكلات الدينية ومعانى الأمور الشرعية وعن شىء من الطبيعيات والأمور الغامضة ويدعه يفكر فيها طويلا ثم يقرر له أن الدين مستور وأكثر الناس به جاهلون ، وعلمه خص الله به الأئمة ، ويشوقه إلى المعرفة فإذا وجده مقبلا عليها أخذ فى ذكر معانى شرائع الدين وأفهمه أن آفة الناس الاعراضُ عن الأئمة القائمين بأمر الدين وحفظه ومعرفة بواطنه وأسراره وتقليدُ السفلة وطاعةُ الكبراء طلبا للدنيا وتغييرُ كتاب الله وسنة رسوله ومخالفةَ دعوته وإفسادَ شريعته ومعاندةَ خلفائه من بعده .

ثم يأخذ فى مدح الإسلام وأنه ما جاء بالامانى ولا بالشهوات ولا بما خف

على الألسنة وعرفه دهماء العامة ولكنه . علم غامض ستره الله فى حجبه وعظّم شأنه عن ابتذال أسراره فهو سر الله المكتوم الذى لا يطيق حمله إلا ملَك مقرب أو نبىّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى . وما يزال به حتى يتعلق بالداعى .

ثم يعرض كثيراً من المشكلات ويحثه على النظر والتفكر ويستشهد ببعض الآيات الواردة فى ذلك ، فإذا علم حرص المدعو على المعرفة أمره بالتأنى وأعلمه أن دين الله أعز من أن يبذل لغير أهله . وقد جرت سنة الله بأخذ العهد على رسله وأخذهم العهد على من يرشدونه فاعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالمؤكد من الايمان أن لاتفشى لنا سراً ولا تظاهر علينا أحداً ولا تطلب لنا غيلة، ولا تكتمنا نصحا ولا توالى لنا عدوا .

(وقد ذكر المقريزى صيغة اليمين وهى طويلة كما ذكرها البغدادى) .

فإذا حلف بالصيغة المرسومة طلب منه جُعلا من المال بحسب ما يراه فاذا أعطى للداعى الجعل انتقل به إلى الدعوة الثانية .

(الدعوة الثانية) :

وفيها يقول الداعى إن الله لا يرضى فى إقامة حقه وشرعه إلا أن يؤخذ عن الأئمة الذين نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته ، ويمضى فى تقرير ذلك مستدلا عليه بأمور مقررة فى كتبهم حتى يرسخ ذلك الاعتقاد فى نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقله إلى الدعوة الثالثة .

(الدعوة الثالثة) :

وفيها يقرر له أن الأئمة سبعة رتبهم الله كما رتب السبعيات المعروفة أولهم على بن أبى طالب والسابع إسماعيل بن جعفر وبذلك ينحل عن معتقد الإمامية ثم

يأخذ فى ذم باقى الأئمة الاثنى عشرية من موسى الكاظم إلى محمد بن الحسن العسكرى .

ثم يقرر له أن الإمام السابع هو المختص بعلم بواطن الشريعة وعلم التأويل وعنده سر الله المكتوم وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله عنه دون سائر الشيعة

(الدعوة الرابعة) :

وفيها يقرر الداعى أن الأنبياء الناطقين بالشرائع الناسخين لشرائع من سبقهم سبعة كعدد الأئمة ولكل واحد صاحب يأخذ عنه دعوته ويظاهره فى حياته ويخلفه بعد موته إلى أن يبلغ شريعته لمن يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه وهلم جرا إلى أن ينتهى العدد إلى سبعة ويقال لهم السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أولهم ويسمى (السوس) .

ولا بد عند انقضاء دور هؤلاء السبعة من استفتاح دور آخر يظهر فيه نبى ينسخ شريعة النبى السابق وهكذا حتى يقوم النبى السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع السابقة ويكون صاحب الزمان الأخير .

فكان أول السبعة النطقاء آدم وسوسه ابنه شيث ويليه ستة صامتون وثانى النطقاء نوح وسوسه ابنه سام وثالثهم إبراهيم وسوسه ابنه إسماعيل ورابعهم موسى وسوسه أخوه هارون وخامسهم عيسى وسوسه شمعون الصفا وسادسهم محمد (صلى الله عليه وسلم) وسوسه على بن أبى طالب وبعده ستة صامتون على الشريعة المحمدية وهم على الترتيب ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه إسماعيل وهو آخر الصمت والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وهو عند هؤلاء الاسماعيلية محمد بن إسماعيل بن جعفر وهو الذى شريعته ناسخة لشرائع الستة النطقاء قبله

والذى انتهى إليه علم الأولين وقام بعلم بواطن الأمور وكشفها وإليه وحده المرجع فى تفسيرها وعلى جميع الناس اتباعه والخضوع له لان الهداية فى موافقته والضلال والحيرة فى العدول عنه .

فإذا أعتقد المدعو ذلك انتقل به الداعى إلى الدعوة الخامسة .

(الدعوة الخامسة) :

وفيها يقرر الداعى أنه لابد مع كل إمام قائم فى كل عصر من حجج متفرقين فى جميع الأرض عدتهم اثنا عشر رجلا فى كل زمان كما أن عدد الأئمة سبعة بدليل أن الله خلق النجوم التى عليها قوام العالم سبعة ، والسموات سبعا والأرضيين سبعا وجعل البروج اثنى عشر وكذا الشهور ونقباء بنى إسرائيل ونقباء الرسول صلى الله عليه وسلم من الانصار وجعل فقرات الظهر اثنتى عشرة وفقرات العنق سبعا .

فإذا تقرر ذلك فى نفس المدعو نقله الداعى إلى الدعوة السادسة .

(الدعوة السادسة) :

وفى هذه الدعوة يأخذ الداعى فى تفسير معانى شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك بامور مخالفة للظاهر مع تمهيد قواعد (تشرح فى أزمنة فى غير عجلة) تؤدى إلى أن هذه الأشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض ولتصدهم عن الفساد فى الأرض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة فى حسن سياستهم لأتباعهم وإتقانا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد فى نفس المدعو .

فإذا طال الزمان واعتقد المدعو ذلك نقله الداعى إلى الكلام فى الفلسفة

وحضه على النظر فى مقالات افلاطون وارسطو وفيثاغورس واضرابهم من فلاسفة اليونان ونهاه عن قبول ما يخالفها من السمعيات فإذا اطمأن إلى ذلك وإلى رفضه السمعيات وهى من أهم تعاليم الإسلام نقله إلى الدعوة السابعة .

(الدعوة السابعة) :

وقبل الدخول فيها لابد أن يتأكد الداعى من تأهل المدعو إلى قبولها واستعداده لتلقيها فاذا تأكد من ذلك قال له : إن الناصب للشريعة لا يستغنى بنفسه ولابد له من صاحب معه يعبر عنه وهذا إنما هو إشارة العالم السفلى لما يحويه العالم العلوى فإن مدبر الكون قد صدر عنه أول موجود بغير واسطة حيث قال له كن فكان ثم يفيض فى هذا الكلام المعمّى المأخوذ أصله من كلام الفلاسفة اليونانيين القائلين بأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد (راجع الموقف وأمثالها) إلى أن يقول المدعو إن كنت من أهل هذا الكلام ورضت نفسك عليه ظهر لك ما ذكرت فاذا تقرر عنده ما ذكر نقله إلى الدعوة الثامنة .

(الدعوة الثامنة) :

وفيها يقول الداعى إن مدبر العالم إنما تقدم على الصادر عنه الأول تقدم العلة على المعلول ثم كانت الاعيان كلها صادرة عن الصادر الثانى بترتيب معروف فى كتب الفلسفة ومع ذلك فالسابق عندهم ليس له اسم ولا صفة ولا يعبر عنه فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز لأن الإثبات عندهم يقتضى الشركة بينه وبين المحدثات والنفى يقتضى التعطيل وإنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته .

فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر له أن التالى يدأب فى أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت فى الأرض يدأب فى أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق

تماما وأن الداعى يدأب فى أعماله حتى يبلغ منزله السوس وهكذا تجرى أمور العالم فى أدواره ولهذا المقام بسط كبير .

فاذا اعتقده المدعو قرر له الداعى أن معجزة النبى الناطق ليست إلا أشياء تنتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوى معانى فلسفية عالية فتارة يعبر عنها برموز يعقلها العالمون وتارة بافصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبى شريعة يتبعها الناس ثم يقرر للمدعو أن للقيامة والقرآن والثواب والعقاب معانى غير ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر للأذهان وليست هى إلا حدوث أدوار بعد أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما بسطه الفلاسفة فى كتبهم .

فإذا استقر هذا الاعتقاد عند المدعو نقله الداعى إلى الدعوة التاسعة .

(الدعوة التاسعة)

هذه الدعوة هى النتيجة التى يحاول الداعى الوصول إليها وترسيخها فى قلب المدعو فاذا تيقَّن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر فى كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الآلهى عندهم وغير ذلك من فروعها حتى إذا تمكن ذلك فى نفس المدعو كشف الداعى قناعه . وقال له :

ما ذكر من الأصول والحدوث رموز إلى معانى المبادىء وتقلب الجواهر وأن الوحى إنما هو صفاء النفس فيجد النبى فى فهمه ما يلقى إليه فيبرزه للناس ويسميه كلام الله الذى ينظم به شريعته حسبما يراه من المصلحة فى سياسة الناس ولا يجب العمل بها إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفتها فقط وماعدا المعرفة من

سائر التشريعات إنما هو أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الأغراض والأسباب .

ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء إنما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة إلى آخر هذه المعميّات والآراء الفاسدة والأقوال الباطلة التى تقذف بالمدعو إذا اعتقدها فى أتون الضلال والغواية وتخرجه من ربقه الإسلام والعياذ بالله تعالى اه بتلخيص من الخطط المقريزية .

ثم يقول المقريزى ولهم فى الدعوات مصنفات كثيرة اختصرت منها ما تقدم ذكره اه .

وإنما اطلنا بنقل هذه الدعوات ليقف المطالع على إمعان هذه الفرقة الضالة فى الغواية وحرصها على استدراج ضعفاء المسلمين بما يزينون لهم من القول وينفثون فى قلوبهم من الأباطيل حتى ينسلخوا من دينهم ويمسوا ضلالا مارقين .

* * *

الإسماعيلية

فى الموسوعة العربية الميسرة

وفى الموسوعة العربية الميسرة المطبوعة بمصر سنة ١٩٦٥ : أن الاسماعيلية فرقة من الشيعة الباطنية تنسب إلى إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق الإمام السادس المتوفى بالمدينة سنة ٧٦٠ - سنة ٧٦١ م والذى جعلوا له الامامة بعد أبيه .

وقد ترك أبناء إسماعيل المدينة بعد وفاة أبيهم وانتشروا فى دماوند وخراسان

وقندهار والهند والشام و بلاد المغرب واوفدوا الدعاة إلى البلاد الاسلامية يدعون فيها إلى مذهبهم الباطني .

ومن أشهر دعاتهم (ميمون القداح) وكان ابنه عبد الله إماما للقرامطة و (الحسن بن الصباح) وكان زعيما لطائفة الحشاشين و (راشد الدين سنان بن سليمان) و (أغا خان) زعيم الإسماعيلية المتوفى سنة ١٩٥٧ م

* * *

وللاسماعيلية حالياً أتباع كثيرون فى فارس وأواسط آسيا وافغانستان والحوض الأعلى لنهر جيحون والهند وعمان والشام وزنجبار وتنجانيقا .

* * *

وللاسماعيلية دعوة وفلسفة ، والدعوة على مراتب ، لكل من يحل مرتبة منها من الدعاة اسم خاص له مدلوله عندهم بالقياس إلى ما يقوم به من تبليغ الكلام المنزل وتأويله [١] والنبى الذى يبلغ الكلام المنزل اسمه (الناطق) والإمام الذى يؤول هذا الكلام هو (الاساس) وعليه فالنبى صلى الله عليه وسلم (ناطق) وعلى بن أبى طالب هو (الاساس) و يأتى بعد الناطق والاساس الإمام والحجة والداعى .

ثم ذكر فى الموسوعة فلسفتهم بما يوافق فلسفة اليونانيين الأقدمين .

وللاسماعيلية كتب كثيرة لا يزال أكثرها مخطوطا وسريا أهمها كتاب راحة العقل للداعى أحمد حميد الدين الكرمانى اهملخصا .

* * *

---

(١) يؤيد هذا ما سبق نقله عن العضد فى المواقف .

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية(١)

فى مذهب الإسماعيلية

(سئل) شيخ الإسلام ابن تيمية عن طائفة النصيرية الذاهبين إلى تناسخ الأرواح واستحلال المحرمات، وتأويل الشرائع، وأن لها معانى غير ما يظهر منها وهى المرادة، وأن آدم اسم ومعناه شيث ويعقوب اسم ومعناه يوسف وموسى اسم ومعناه يوشع وسليمان اسم ومعناه آصف ومحمدا اسم ومعناه على، وأن أبا بكر وعمر وعثمان أبالسة إلى آخر ماجاء فى الاستفتاء (فأجاب) بقوله إن هؤلاء النصيرية الذين يسمون أيضا بالقرامطة والإسماعيلية والباطنية والملاحدة والخرمية والمحمرة ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا بالأنبياء والرسل ولا بشيء من الكتب المنزلة ولا بالدار الآخرة وهم تارة يبنون أقوالهم على مذهب الفلاسفة الطبيعيين وتارة على مذهب المجوس ويؤولون الشرائع بما يبطلها كتأويل الصلاة بمعرفة أسرارهم والصيام بكتمانها والنكاح والحج بزيارة شيوخهم وأئمتهم ويستحلون الفواحش ونكاح البنات والامهات وسائر المحرمات.

وهم يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر ويزعمون أن ذلك مذهب جعفر الصادق وحاشا أن يقول ذلك مع أنه توفى سنة ١٤٨ هـ وهذه

---

(١) هو الامام المجدد شيخ الاسلام أبو العباس تقى الدين أحمد ابن الامام شهاب الدين عبد الحليم ابن شيخ الاسلام مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن عبدالله ابن تيمية الحرانى الحنبلى المتوفى بدمشق سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله ومن مؤلفاته الفتاوى الكبرى وقد ترجمنا له فى رسالة خاصة فلتراجع.

الأقوال وضعت بعد المائة الثالثة، وكان من أتباعهم إخوان الصفا وابن سينا وأبنه وأخوه والطوسى شارح الاشارات، ولهم ألقاب ودعوات مرتبة أخذوها عن المجوس والفلاسفة والرافضة ويزعمون أن محمد بن إسماعيل هو الإمام السابع .

ومن وصاياهم الدخول على عامة المسلمين وجهالهم من باب التشيع لآل البيت وهم أكفر من اليهود والنصارى والمشركين وضررهم أشد من ضرر هؤلاء لتظاهرهم بالتشيع والموالاة لأهل البيت ومقصودهم إبطال شرائع الإسلام اهـ من الفتاوى ج ٤ فى باب قطاع الطريق والبغاة .

كلام شيخ الاسلام ابن تيمية

فى فضل أبى بكر وسائر الخلفاء الراشدين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لم يقل أحد من علماء المسلمين المعتبرين أن عليا أعلم وأفقه من الشيخين ولا من أبى بكر وحده بل إجماعهم منعقد على أن أبا بكر أعلم من على رضى الله عنهما . كيف وأبو بكر كان بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم يفتى ويأمر وينهى ويقضى ويخطب كما كان يفعل ذلك إذا خرج معه يدعو الناس إلى الإسلام . والنبى صلى الله عليه وسلم ساكت يقره على ذلك ويرضى بما يقول ولم تكن هذه المرتبة لغيره .

وكان صلى الله عليه وسلم يقدم أبا بكر وعمر فى مشاورته على سائر أصحابه مثل قصة مشاورته فى أسارى بدر وغيرها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهما إذا اتفقتما على أمر لم أخالفكما . ولذا كان قولهما حجة فى أحد قولى العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد . وهذا بخلاف قول عثمان وعلى رضى الله عنهما .

وفى السنن أنه قال « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » ولم يجعل هذا لغيرهما بل قال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » فأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين الأربعة وخص أبا بكر وعمر بالاقتداء بهما وهى مرتبة أعلى كما لا يخفى .

وفى صحيح مسلم أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا معه فى سفر فقال « إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا » .

وثبت أن ابن عباس وهو حبر الأمة وأفقه الصحابة فى زمانه كان يفتى بقول أبى بكر وعمر إذا لم يجد سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدم قولهما على قول غيرهما من الصحابة .

وإيضا كان اختصاص أبى بكر وعمر به صلى الله عليه وسلم فوق أختصاص غيرهما وأبو بكر كان أكثر أختصاصا فانه كان يسمر عنده صلى الله عليه وسلم عامة الليل يحدثه فى العلم والدين ومصالح المسلمين كما فى حديث عمر وحديث الصحيحين .

ولم يصحب الرسول صلى الله عليه وسلم فى سفر الهجرة غير أبى بكر ولم يبق معه فى العريش يوم بدر غير أبى بكر . وقال إن أمنّ الناس على فى صحبته وذات يده أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وهذا من أصح الأحاديث فى الصحاح من وجوه كثيرة .

وفى الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لى صاحبى وكررها ثلاثا فما أوذى بعدها .

ثم ذكر شيخ الإسلام ما فى الصحيحين من حديث ابن عباس وفيه ترحُّم عليّ على عمر وهو مسجى على سريره يوم دفنه وقوله « ما خلفتَ أحدا أحب إلى أن ألقى الله عز وجل بعمله منك » .

* * *

وسأل الرشيد مالكا عن منزلة الشيخين منه صلى الله عليه وسلم فقال منزلتهما منه فى حياته كمنزلتهما منه بعد مماته ، وكثرةُ الإختصاص والصحبة مع كمال المودة والمحبة والائتلاف والمشاركة فى العلم والدين تقتضى أنهما أحق بذلك من غيرهما .

أما الصديق فانه مع قيامه بأمور من العلم والفقه عجزعنها غيره حتى بينها لهم لم يحفظ له قول خالف نصا ، وأما غيره فحفظت له أقوال كثيرة خالفت النص لكن تلك النصوص لم تبلغهم ، والذى وجد من موافقه عمر للنصوص أكثر من موافقه على ، ثم ذكر مسائل من ذلك .

* * *

وفى الترمذى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال « لو لم أبعث فيكم لبعث عمر » .

وأيضاً فإن الصديق قد استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة التى هى عمود الإسلام وعلى إقامة مناسك الحج . وقد أقامها قبل حجة الوداع وليس فى العبادات أشكل منها . وقد أمَّره على عليٍّ فى هذه الحجة وأمره أن يسمع ويطيع فى الحج وأحكام المسافرين وغير ذلك لابى بكر . وكان هذا بعد غزوة تبوك التى أُستخلف فيها عليا على المدينة ولم يكن أحد بها باقيا من الرجال الامنافق أو معذور وقال له حين تحسر على تخلفه عن الجهاد معه : أما ترضى أن

تكون منى بمنزلة هارون من موسى تطييبا لنفسه وذلك لا يقتضى نقص المرتبة ولا تفضيله على غيره .

وفى الصحيحين عن أبى سعيد قال وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأيضا فان الصحابة فى زمن أبى بكر لم يكونوا يتنازعون فى مسألة إلا فصلها بينهم أبو بكر وارتفع بقوله النزاع كتنازعهم فى وفاته صلى الله عليه وسلم ومدفنه وفى ميراثه وفى تجهيز جيش أسامة وقتال مانعى الزكاة وغير ذلك من المسائل الكبار بل كان فيهم يعلمهم ويقومهم ويبين لهم ما تزول معه الشبهة فلم يكونوا معه يختلفون ولم يبلغ بعده أحد مبلغه فى علمه وكماله ، ثم حصل الاختلاف بعده فى مسائل كميراث الجد مع الإخوة ، والطلاق الثلاث وغيرهما .

وكان الصحابة يخالفون عمر وعثمان وعليا فى كثير من أقوالهم ولم يعرف أنهم خالفوا أبا بكر فى شيء مما كان يفتى فيه ويقضى وهذا يدل على غاية علمه وأنه قام مقام الرسول صلى الله عليه وسلم وأقام الإسلام فلم يخل بشيء منه بل دخل الناس من الباب الذى خرجوا منه مع كثرة المخالفين من المرتدين وغيرهم وكثرة الخاذلين فكمل به من علمهم ودينهم مالا يقاومه فيه أحد حتى قام الدين كما كان .

وكانوا يقولون أبو بكر خليفة الرسول قال السهيلى وغيره قد ظهر قوله تعالى (لا تحزن إن الله معنا) فى أبى بكر فى اللفظ كما ظهر فى المعنى فكانوا يقولون محمد رسول الله وأبو بكر خليفة رسول الله ثم انقطع هذا الاتصال اللفظى بموته فلم يقولوا لمن بعده خليفة رسول الله بل قالوا أمير المؤمنين .

* * *

وأيضا فعلىّ تعلم من أبى بكر بعض السنة بخلاف أبى بكر فانه لم يتعلم من على كما فى الحديث المشهور الذى فى السنن وهو حديث صلاة التوبة .

وكان أئمة علماء الكوفة الذين صحبوا عمر وعليا كعلقمة والاسود وشريح القاضى وغيرهم يرجحون قول عمر على قول على . وكان ذلك أظهر وأشهر من أن يذكر فى تابعى أهل المدينة ومكة والبصرة وإنما ظهر فى الكوفة فقه على وعلمه لمقامه فيها أيام خلافته .

ولم يعرف عن أحد ممن شايعه فى حروبه أنه قدمه على أبى بكر وعمر لا فى فقه ولا فى علم ولا فى غيرهما بل كلهم كانوا يقدمون عليه أبا بكر وعمر الا من كان علىّ ينكر عليه ويذمه وكانوا على قلتهم ثلاث طوائف . طائفة غلت فيه كالتى ادعت له الالوهية وهؤلاء حرقهم علىّ بالنار ، وطائفة كانت تسب أبا بكر ورأسهم عبد الله بن سبأ فلما بلغ عليا ذلك طلب قتله فهرب ، وطائفة كانت تفضله على أبى بكر وعمر فقال لا يبلغنى عن أحد منكم أنه فضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حدّ المفترى .

وروى عن على من نحو ثمانين وجها وأكثر أنه قال على منبر الكوفه « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر » .

* * *

وأما حديث (أفضاكم على) فغير صحيح وإنما يروى من طريق من هو معروف بالكذب ، وهو من قول عمر بعد موت أبى بكر رحمهما الله .

* * *

وكذا حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها) فانه كذب محض وقد

ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وكذبه ظاهر من متنه فانه يقتضى أن يكون مبلغ علم النبى صلى الله عليه وسلم واحدا من أصحابه فقط وهو كذب لأن أكثر العلم والسنن مروى عن غير على وهذا القول قد افتراه زنديق أو جاهل ظنه مدحا .

وكذلك ما يزعمونه من اختصاص على بعلم انفرد به عن الصحابة باطل من القول وقد ثبت عن على نفسه ما يكذب ذلك .

وكذلك ما يزعمونه من أن عنده علما باطنيا امتاز به عن الشيخين وغيرهما إنما هو من مقالات الملاحدة الباطنية الذين يزعمون أن للشرائع باطنا غير الظاهر وأن أئمتهم هم أهل معرفتها وهم شر من اليهود والنصارى والمشركين اه .

* * *

فضل الخلفاء الراشدين

حسب ترتيبهم فى الخلافة ثم سائر الصحابة

وقال شيخ الإسلام فى جواب سؤال أخر إن تفضيل أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على أمر متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالامامة فى العلم والدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو مذهب مالك وأهل المدينة والليث بن سعد وأهل مصر والأوزاعى وأهل الشام وسفيان الثورى وأبى حنيفة وحماد ابن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أهل العراق وهو مذهب الشافعى وأحمد وإسحاق وأبى عبيد وغير هؤلاء من أئمة الإسلام الذين لهم قدم صدق فى الأمة وحكى مالك اجماع أهل المدينة على ذلك . وهو مستفيض عن أمير المؤمنين على نفسه رضى الله عنه .

ففى صحيح البخارى عن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه على يا أبت من خير الناس

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يابنى أو ما تعرف قلت لا قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وروى هذا عن على من نحو ثمانين وجها وأنه كان يقوله على منبر الكوفه بل قال لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى «ثمانين جلدة».

وكان سفيان يقول من فضل عليا على أبى بكر فقد أزرى بالمهاجرين وما أرى أنه يصعد له عمل إلى الله وهو مقيم على ذلك ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال ياعلى هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين .

وقد استفاض عنه صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين وغيرهما من غير وجه أنه قال (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله) يعنى نفسه .

* * *

وفى الصحيح أنه قال لعائشة ادعى لى اباك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه الناس من بعدى ثم قال يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر .

وفى الصحيح أن امرأة قالت يارسول الله إن جئت فلم أجدك كأنها تعنى للموت قال فأتى أبا بكر .

وفى السنن أنه قال اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وفى الصحيح أنه كان فى سفر فقال « إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا » .

وفى السنن عنه قال رأيت كأنى وضعت فى كفة والأمة فى كفة فرجحت

بالأمة ثم وضع أبو بكر فى كفة والأمة فى كفة فرجح أبو بكر ثم وضع عمر فى كفة والأمة فى كفة فرجح عمر .

ثم ذكر حديث يا أيها الناس إنى جئت إليكم فقلت إنى رسول الله فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت فهل أنتم تاركولى صاحبى وكررها ثلاثا فما أوذى أبو بكر بعدها .

وقد تواتر أمره صلى الله عليه وسلم أبا بكر بالصلاة بالمسلمين فى مرضه مع حضور عمر وعثمان وعلى وغيرهم .

وأفاض فى ذلك ثم قال : وأما عثمان وعلى فقد رجح عليا على عثمان سفيان الثورى وطائفة من أهل الكوفة ثم رجعوا عن ذلك . وبعض أهل المدينة توقف فى الترجيح فى رواية لكن فى الرواية الأخرى أنهم رجحوا عثمان كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعى وأبى حنيفة وأصحابه وأحمد وأصحابه وغيرهم من أئمة الإسلام حتى بدّع بعضهم من يقدم عليا على عثمان رضى الله عنهم أجمعين .

* * *

ثم قال إن الذى ابتدع الرفض كان يهوديا أظهر الإسلام نفاقا ودس إلى الجهال دسائس يقدح بها فى اصل الإيمان ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة فإنه يكون الرجل واقفا ثم يصير مفضلا ثم يصير سابا ثم يصير غاليا ثم يصير جاحدا معطلا .

ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنادقة من (الإسماعيلية والنصيرية وأنواعهم من القرامطة الباطنية والدرزية) وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق فإن القدح فى خير القرون وهم أصحاب الرسول عليه السلام قدح فى الرسول ، وهؤلاء الصحابة هم الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبى صلى الله عليه وسلم

إلى المسلمين وهم الذين نقلوا فضائل على وغيره فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين وحينئذ فلا تثبت فضيلة لا لعلى ولا لغيره .

وأن الله تعالى قد اثنى على الصحابة فى غير آية من كتابه فقال (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

وقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) .

وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) الآية .

وقال (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة »

وفى الصحيحين عن أبى سعيد أنه صلى الله عليه وسلم قال « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » .

وقد ثبت عنه فى الصحيح من غير وجه أنه قال « خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وهذه الأحاديث مستفيضة فى فضائل الصحابة فالقدح فيهم قدح فى القرآن والسنة ولهذا تكلم الناس فى تكفير الرافضة بما قد بسطناه فى غير هذا الموضع اهـ ملخصا من الفتاوى الكبرى جزء أول .

* * *

هذاما في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (وناهيك به إماما وحجة وعلما من أعلام الإسلام وقدوة) في فضل الصحابة عامة وفضل الخلفاء الراشدين خاصة على ترتيبهم في الخلافة ـ وفي الرد على الشيعة الإسماعيلية الباطنية وبيان ضلالهم ومروقهم من الإسلام وعلى الروافض الذين أوسعوا الشيخين والصحابة رضي الله عنهم سبا وتجريحا وزعموا المحبة والموالاة لعلي كرم الله وجهه وآل البيت الكريم . كذبا وزورا وخداعا وتغريرا وشاقوا الله ورسوله بالقدح في الصحابة الذين اثنى الله تعالى عليهم في كتابه ومدحهم رسوله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه :

وقد أتينا بخلاصتها وهي والحمد لله كالحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة العدول .

* * *

(هذا) وقد أفاض العلامة بحرق اليمني في الرد على ذلك الداعية الإسماعيلي في عصره باليمن فاحسن الرد والتفنيد ، ودافع عن الإسلام دفاع العالم المجيد جزاه الله خيرا ولقاه نضرة وسرورا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين .

تمت هذه الرسالة المختصرة في ٨ شوال سنة ١٣٨٦ هـ

(١٩ يناير سنة ١٩٦٧ م) بالقاهرة

بيد كاتبها

حسنين محمد مخلوف

عفا الله عنه وأحسن إليه

و يلي هذا التصدير كتاب (الحسام المسلول) للإمام بحرق اليمني رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أفضل الحمد وأكمله ، وأزكاه وأشمله ، حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده. والشكر لمولى الحمد ومستحقه على ما منَّ به من التوفيق ، والهداية إلى سواء الطريق وأنعم به من العرفان والتحقيق ، والإتِّباع والتصديق ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى فضَّله على جميع الخلائق ، وبعثه بخير الأديان والطرائق، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وأعاذ إجماعها المعصوم من كيد الخناس وأتباع الوسواس وحفظ كتابه المبين وشرعه المتين بقوله فيه(١) (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرُّهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » وقال صلى الله عليه وسلم « ستفترق أمتى إلى أثنتين وسبعين فرقة كل فرقة منها تدعو إلى النار والناجية منها فرقة « واحدة » قيل يارسول الله من هم قال « هم المتمسكون بما أنا عليه وأصحابى ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(أما بعد) فقد وصلنى كتاب كريم ، من أخ فى الله صديق حميم ، وهو الفقيه الأجل الصالح الفاضل الكامل شرف الدين أبو القاسم ابن سليمان المقرىء الحرازى(٢) بلداً المنسوب إلى بيت الحازى وهو يستغيث إلى الله عز وجل ثم إلى المملوك يريد الجواب على ثلاثة عشر سؤالا مشتملةٍ على شبه

---

(١) هذا راجع إلى قوله « كتابه المبين » كما أن قوله بعده « وقوله صلى الله عليه وسلم » راجع إلى قوله وشرعه المتين .

(٢) نسبة إلى حراز كسحاب مخلاف باليمن .

مضلة، وأوهام عند إشراق الحق مضمحلة يستغوى بها داعى الاسماعيلية من حمقى الرجال وطغام الجهال من هم شبه المجانين فى الدين ، ومن الزنادقة الغاوين الذين خدعهم الشيطان اللعين الذين قال فيهم وفى أتباعهم أصدق القائلين . (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر ألا أولوا الألباب) فما خص به سيدى من السلام فعليه وعلى من حضر مقامه الكريم أضعاف أضعافه .

وليعلم الأخ فى الله تعالى أن الدعاء له ولهم مبذول ، ومن الجميع مسئول ، والرجا فى الله حسن القبول .

ثم حاصل مايشير اليه سيدى فى المكاتبة والأسئلة أن قال السائل فى مكاتبته وينهى تعريف خاطركم الكريم أنه قد ظهر فى بلادنا فتنة عظيمة من رئيس الاسماعيلية عندنا وصار يدعو من جاوره من أهل السنة الى الدخول فى مذهبه وبدعته ويذكر لهم الأحاديث الواردة فى فضل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ويستدل بها على تعين الخلافة له[1] كحديث من كنت مولاه فعلى مولاه . وحديث « أنت منى بمنزلة هارون من موسى »

وحديث المؤاخاه الى غير ذلك، ويحتج بها على أن عليا هو الوصى بالخلافة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن خلافة الثلاثة قبله معصية غير مرضية مخالفة لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستحل بذلك سب الصحابة رضى الله تعالى عنهم لتعاونهم على تقديم أبى بكر فمن بعده ظلماً .

وقد غر بهذه الشبهة خلقا كثيرا وعظم ضرره على أهل السنة ولم يقع

---

(١) أى بالنص عليه من الرسول صلى الله عليه وسلم بعده مباشرة فيما يزعم

من علماء تلك البلاد مايدفع شبهته ويبطل حجته وقد كتبت اليكم بشبهته التى أغوى بها كثيرا من العوام ولبّس بها على الطغام فتفضلوا بما يدفع شبهته من الحجج البالغة والبراهين الدامغة والدلائل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الصحابية والتابعية فالغوث الغوث وقد علمتم أن الرد عليهم من فروض الكفاية يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فالهمةَ الهمةَ القيامَ القيامَ وأجيبوا بجواب مبسوط شاف كاف مع المبادرة فان داعى الاسماعيلية قد كتب جوابا على مايدعيه من الأحاديث التى كتبتها لكم مطولا ثم ختمه بأبيات من شعره يمدح فيها مذهبه ويذم من خالفه فاجعلوا أيضا ختم جوابكم من الشعر فى فضل السنة وأهلها وفضل الصحابة وفضل الأئمة رضى الله تعالى عنهم اجمعين .

حاصل شبه الاسماعيلى

(فمن الأحاديث) التى أوردها الاسماعيلى مافى مسند الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على رضى الله عنه بعد أن جمع الناس للصلاة بغدير يقال له غدير خم بضم الخاء وتشديد الميم (١) وقال ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

وقال الاسماعيلى ان المولى فى الحديث بمعنى الأولى وانه إنما أراد أن لعلى من الولاء عليهم ماله صلى الله عليه وسلم من الولاء قال وقوله قبل ذلك « ألستم

---

(١) خم موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين أو خم اسم غيضة هناك بها غدير ماء سم لم يولد بها أحد فعاش إلى أن يحتلم إلا أن ينتقل منها اهـ قاموس .

تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم بيان لهذا وإلا لذهب سُدى ، وقال لو كان المولى بمعنى الناصر أو غيره لم يحتج إلى جمع المسلمين وإشهادهم ولا أن يأخذ بيد علي لأن ذلك يعرفه كل أحد ولا كان يحتاج الى أن يدعو بقوله اللهم وال من والاه وعاد من عاداه لأن مثل هذا لا يكون إلا لإمام مفترض الطاعة .

وبهذا الحديث[1] وغيره من نحو قوله صلى الله عليه وسلم «عليٌّ وليُّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي » وقوله « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ونحو حديث المؤاخاة ، احتج على ما ادعاه فبينوا حل هذه الشبهة[2]

(ومنها)[3] أنه زعم أن عليا رضى الله عنه استنقذ أم ابنه محمد ابن الحنفية من يد أبى بكر حين سباها فى الردة ثم تزوجها عليٌّ من وليها بعقد صحيح اذ كان يرى أنه لا يحل لأبى بكر سبيها لأنها من قوم لم يجر منهم ما يوجب قتالهم وانما كان منهم منع الزكاة فقط وذلك لا يوجب الردة .

هذا كلامه وأراد بذلك أن عليا كان يقدح فى خلافة أبى بكر ولا يعتقد صحتها .

(ومنها) أنه زعم أن عليا لم يصلِّ صلاة خلف أبى بكر ولا غيره ولا تأمر عليه أبو بكر ولا غيره .

(ومنها) سؤال من السائل نفسه ـ أخبرونا كم صلى أبو بكر بالناس من أيام فى مدة مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر رضى الله عنه فى مرضه كما صح أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف فى صحته .

---

(١) متعلق بقوله بعد احتج على ما ادعاه .

(٢) أى ردها وتفنيدها .

(٣) أى ومن الشبه التى أوردها الاسماعيلى .

(ومنها) أنه زعم أن دفن أبي بكر وعمر عند النبي صلى الله عليه وسلم ما كان عن إذن منه ولا أمر أن يشق لأحد في بيته قبر وقال الله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) .

(ومنها) أنه زعم أن لكل نبي وصيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالوصية في الأولاد وقضاء الديون فكيف ترك نفسه ولم يوص بالخلافة إلى أحد ويترك الأمة يتيهون في الضلالة ؟؟ .

(ومنها) أن المسلمين أجمعوا على تسمية علي رضي الله عنه وصي النبي صلى الله عليه وسلم فوجب أن يكون وصيا بالخلافة .

(ومنها) أن عثمان لما ولي قعد على المنبر في مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذروته مع أن أبا بكر (رضي الله عنه) نزل عن ذلك درجةً وعمر درجتين وأنه نفى أبا ذر وآوى مروان وأقطعه فدكا وهي صدقة النبي صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من الأمور التي من فعل بعضها لم يستحق الامامة ووجوب الطاعـــة .

(ومنها) أن عمر كسر سيف الزبير وضرب سعد بن عبادة وذلك يقدح في إمامته .

(ومنها) وشيء من المسائل أنه أشكل عليه ما ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى (وإذ أسر النبي) الآية أنه قال لحفصة أبوك وأبو عائشة والیا أمر الناس بعدي فإياك أن تخبري أحدا وقال كره أن ينتشر ذلك في الناس فما سبب هذه الكراهة وهو مأمور بالتبليغ ؟؟ .

(وكذلك) في الحديث الذي ذكر فيه الرؤيا أنه صلى الله عليه وسلم وزن هو وأبو بكر فرجح بأبي بكر فوزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر بعمر ووزن

عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان فرأينا الكراهة فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ما سبب هذه الكراهة ؟ ؟ .

(وكذلك) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس إن الله فتح لى هذا الأمر وبذريتك يختمه ، وقال العلماء أراد بذلك بقاء الخلافة فى أولاده إلى يوم القيامة فأين خلافة بنى العباس اليوم ؟؟ .

(ومنها) صح أن عليا زوج ابنته أم كلثوم التى أمها فاطمة من عمر (رضى الله عنهم) فكيف صح هذا النكاح وغير الهاشمى ليس بكفؤ للهاشمى ؟ ؟ وقال الشافعى ليس للرجل أن يزوج ابنته الصغيرة من عبد ولا من غير كفؤ فلو فعل ذلك لم يصح النكاح لأنه خلاف الغبطة والمصلحة .

(ومنها) ماروى أن فاطمة جاءت إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنها وادعت أن النبى صلى الله عليه وسلم نحلها فدكا أو سهما من فدك وأقامت عليا وأم أيمن يشهدان بذلك فلم يعطها شيئا وقامت مغضبة .

(ومنها) أن داعى الاسماعيلية زعم أن الخلافة محصورة فى آل النبى صلى الله عليه وسلم بمارواه البزار أنه صلى الله عليه وسلم قال إنى مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى وأن يفترقا حتى يردا على الحوض فقرن العترة بكتاب الله والتمسك بكتاب الله واجب فكذلك العترة انتهى كلامه .

فبينوا لنا ذلك بيانا شافيا متع الله بكم المسلمين .

ومن جملة شعره الذى ختم به احتجاجه على ما يدعيه من بدعته قوله .

وخذوا الجواب مبيَّناً ومبرهنا   عنى فإنى عبد آل محمد
ولهم ولائى لا أريد سواهم   ومتين حبلهم به وثقت يدى

قُرنا كتاب الله جل جلاله | لا افتراق إلى ورود المورد
سفن النجاة إذا طغى موج الهوى | وأمده بدَعٌ كموج مُزبد
وهم أولوا الذكر المبين ومن هم | أنوار صدق أصلها من أحمد
آل الرسول وحيدر مَن مثلهم | فى الخلق فى شرف يجل وسودد

فهذه جملة أسئلته وحاصل أبياته من جملة خمسة عشر بيتا .

فاللهَ الله ياسادتى فى الجواب ، الغوثَ الغوثَ ، الغارةَ الغارةَ أيدكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فيسر الله الجواب ، بتصنيف يهدى إلى جادة الصواب ، ويكشف عن تلك المشكلات النقاب ، ويزيل عن الواقفين الوهم والشك والارتياب ويبطل تلك الشبه الزائغة ويفضح تلك الدعاوى الفارغة أداء لفرض الكفاية وقياما بواجب النصح والرعاية .

وسميته (الحسام المسلول على منتقصى أصحاب الرسول)

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلى الله على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الذى منّ على المؤمنين (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وأكرم عصابة السنة بحبله المتين ، ونصرهم فكانوا هم الغالبين ، وآتاهم الفهم فى كتابه المستبين ، وهداهم إلى صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وجنبهم زيغ الضالين وضلال الملحدين ، ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين ، وآله الأكرمين وصحبه الهادين المهتدين ،

صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(أما بعد) فقد سمعت نداءك أيها الأخ المسترشد وأجبت دعاءك أيها الصارخ المستنجد سلك الله بنا وبك قصد الطريق ، وأمدنا وإياك بالعصمة والتوفيق بما يجب[١] على لك من حق الإخاء والوداد ولله ولرسوله من نصرة الدين والجهاد ، ولأئمة المسلمين وعامتهم من النصح والإرشاد فإنك ذكرت أنه قد انتشرت عندكم فتنة ظاهر شررُها وشاعت لديكم محنة عم ضررها من شخص من رؤساء الإسماعيلية الضلال استحوذ على طائفة من العوام والجهال ، لبّس عليهم بدعته فاتبعوه ، واستخفهم بشبهه فأطاعوه ، استزلهم[٢] بما يورده من الأحاديث الواردة فى فضل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه عن صحيح اعتقادهم واستزالهم[٣] بزعمه موالاته ونصرته عن طريق رشادهم حتى أدى بهم ذلك إلى القدح[٤] فى خلافة الصديق ومن بعده من الخلفاء الراشدين ، ثم إلى سب سائر الصحابة ونسبتهم إلى الفسوق والمروق من الدين ، وأنك[٥] تحب ما تستظهر به فى دفع شبهه وتستضىء به من السنة من ظلَم بدَعه .

فاعلم أولا أن هذا دخان نار أوقدت قبل هذا الأوان ، وغبار جدار قد وقع منذ دهور وأزمان ، قد تبين فيها الرشد من الغى ، واستبان فيها الصريح

---

(١) متعلق بقوله أجبت .

(٢) أزلقهم عن صحيح اعتقادهم بما يورده من تلك الأحاديث .

(٣) استزالهم أى طلب إزالتهم عن طريق الرشاد من قولهم أزاله عن مكانه وزاله عنه إزالة بمعنى فرقهم عنه وفى الأصل استزلهم فى الموضعين فاستحسنا أن يكون الثانى استزال والأول استزل فتنبه .

(٤) أدى بهم وفى الأصل أوى لهم وهو تحريف .

(٥) أى وذكرت أنك تحب الخ .

من الّلى ، وعرف فيها الحق من الباطل والضلال من الهدى فمن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

مقدمة

فيما يتعلق بهذه المسئلة من معتقد أهل السنة والجماعة

وذلك فى بيان خمسة أشياء وجوب الإمامة ، ثم بيان شروطها ، ثم بيان ماتثبت به ، ثم بيان الإمام الحق وترتيب الخلفاء فى الفضل ، ثم بيان مايجب لهم ولسائر الصحابة من التعظيم .

مبحث وجوب الإمامة

(الأول) قال أهل الحق يجب على الأمة نصب إمام(١) متبع فى كل عصر وأوان لما به يُنصر الدين ويُتمكن من قمع المفسدين ويُؤخذ مايجب أخذه ويُدفع مايجب دفعه (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) .

والدليل على ذلك إجماع الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه لايجوز خلو الوقت عمن يرجعون إليه بعده فى أمر الدين والدنيا مع أنهم أعلم الناس وأورعهم وأتقاهم بل لما خطبهم أبو بكر وقال : ألا إن محمداً قد مات وإنه لابد لهذا الدين من يقوم به بادر الكل إلى قبول قوله وتركوا أهم الأشياء وهو دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل المسلمون على ذلك .

---

(١) الامامة كما فى المواقف وشرحها خلافة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة .

وقال العلامة ابن خلدون فى مقدمته إن الامامة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدولة به ويسمى القائم بها إماما وخليفة .

هذا مع أنا نعلم أن مصالح العباد من أمر المعاش والمعاد لاتتم إلا بإمام يرجعون إليه وإلا ربما أدى ذلك إلى هلاكهم جميعا ، والتجربة تشهد لذلك مما يثور من الفتن ويهيج من المحن عند موت الولاة إلى استقلال والٍ آخر بحيث لو تمادى ذلك لتعطلت المعايش وأدى إلى رفع الدين وهلاك المسلمين .

مبحث شروط الإمامة

(الثانى) أنه يجب أن يكون الإمام «ذكرا» لأن الرجال أقوى من النساء على القيام بمهام الإمامة العظمى وأقدر « بالغا » لقصور عقل الصبى واحتياجه إلى من يكفله فضلا عن أن يكون كافلا للأمة كلها « عاقلا » لما ذكر فى الصبى « مسلما » لقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) « عدلا » لئلا يجور « حراً » لئلا تشغله خدمة السيد «قرشيا »[١] لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » .

ثم إن الصحابة أجمعوا على العمل بمقتضاه «مجتهدا» فى الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين « ذا رأى » ليقوم بأمر الملك « شجاعا » ليقوى على الذب عما يجب عليه القيام بحفظه ـ فهذه عشر شرائط . (وفى الثلاثة الأخيرة خلاف)

(١) ثبت هذا الشرط بإجماع الصحابة يوم سقيفة بنى ساعدة عليه فقدم الأنصار بيعة سعد بن عبادة الأنصارى وقالوا منا أمير ومنكم أمير فاحتجت قريش بحديث الأئمة من قريش وبأنه صلى الله عليه وسلم أوصانا بأن نحسن إلى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا الأنصار ورجعوا عن قولهم وعدلوا عما كانوا هموا به إلا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الأعاجم وصار الحل والعقد إليهم وحقق العلامة ابن خلدون أن اشتراط هذا الشرط إنما قام على اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب هذا المنصب فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها فيرجع هذا الشرط إلى الكفاية وتكون هى المناط لا خصوص النسب . اهـ

ولا يشترط أن يكون هاشميا خلافا للشيعة للاجماع على صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، ولا أن يكون معصوما خلافا للامامية[1] ولا عالما بجميع المسائل المتعلقة بأمر الدين[2] .

مبحث ماتثبت به الإمامة

(الثالث) تثبت الإمامة إما بالنص من الإمام السابق بالإجماع وإما بأن يبايعه أهل الحل والعقد خلافا للشيعة ولا يشترط حضور جميع أهل الحل والعقد لأن الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع صلابتهم فى الدين اكتفوا بمجرد عقد بيعة عمر لأبى بكر وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان فبايعوهما ولم يتوقفوا فى صحة إمامتهما إلى اجتماع أهل المدينة فضلا عن إجماع أهل العصر .

مبحث الإمام الحق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وترتيب الخلفاء فى الفضل

(الرابع) الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم لما سبق أن طريق ثبوت الإمامة إما بالنص وإما بعقد البيعة وقد انعقد الاجماع على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص لا منه على استخلاف أحد معين ، وعلى انعقاد البيعة لأبى بكر ثم نص أبو بكر على خلافة عمر ثم عقدها المسلمون لعثمان ثم لعلى رضى الله عنهم .

وأما ترتيبهم فى الفضل فأجمع أهل السنة على أن ترتيبهم فيه على ترتيبهم

---

(١) اى والاسماعيلية .

(٢) شرط هذا الشرط الشيعة الإمامية .

فى الخلافه ما خلا طائفة من السلف فانهم توقفوا فى التفضيل بين على وعثمان ومنهم من فضل عليا عليه ونقل عن ابن عبد البر أن اجماع الخلف انعقد على ما عليه جمهور السلف من الترتيب .

هذا مع الاتفاق على أن عثمان إمام حق لان من استكمل شروط الامامة صحت إمامته وإن كان مفضولا بل قد يجب تولية المفضول لكونه أصلح أو لكون نصب الافضل مثيرا لفتنة إذ المعتبر فى ولاية كل أمر والقيام به معرفة مصالحه ومفاسده وقوةُ القيام به ورب مفضول فى علمه وعمله هو بالامامة أعرف وبالرعية اشفق وأرأف .

مبحث وجوب تعظيم جميع الصحابة

(الخامس) يجب تعظيم كافة الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، والكف عن القدح فى منصبهم الجليل ، وتَطلُّب المحامل الحسنة والتأويلات اللائقة بقدرهم فيما ينقل عنهم بعد العلم بصحة ذلك عنهم ، وعدمُ المسارعة إلى ما ينقله عنهم المؤرخون والأخباريون وأهل البدع الضالة المبطلون ، وإنما المعتمد على مايورده العلماء الراسخون وعلماء السير بالاسانيد المعتمدة ، فاذا صح ذلك وجب حمله على أحسن المحامل لأن تقريره يؤدى إلى مناقضة كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلف فى قولهما محال ، ثم يؤدى إلى هدم أركان الشرع من أصله والازراء بشارعه وناقله وأهله لأن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا الشرع والتوحيد والنبوة والرسالة والإسلام والإيمان والصلاة والزكاة والصيام والحج والحلال والحرام إلى غير ذلك ، ومتى تطرقت الأوهام إلى القدح فيهم انخرمت عدالتهم وردت روايتهم وشهاداتهم وصار هذا الدين الذى هو خير الأديان شر الأديان لكون حملته فسقه ، وكان القرآن مفترى ، وكان قوله فيهم «أولئك

هم الصادقون » « والتائبون العابدون » « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » إلى غير ذلك زوراً وبهتانا ، وكان الرسول متقولا على الله » .

وكان قوله « أصحابى كالنجوم ، وخيركم قرنى ويحمل هذا العلم » إلى غير ذلك إفكا وباطلا ، وكان الخير كله والصدق والنزاهة مع أعداء الله القادحين فيهم الذين حدثوا بعدهم وأحدثوا بدعهم لامع الله ورسوله وأوليائه ، وصار جميع الأنبياء والمرسلين المبشرين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كذبة ، والكتب المنزلة عليهم من عند الله مختلقة ، وصار جميع العلماء الأحبار والعارفين بالله الاخيار من أول الدهر إلى آخر الاعصار على باطل وضلال لاتفاقهم على تصديق الصحابة فيما نقلوه وعملهم بعلمهم الذى عنهم حملوه إلى مالا يحصر من الكفر والضلال تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

مقصود هذه الفرقة الضالة القدح فى الدين

وهذا فى الحقيقة هو المقصود لهذا الفرقة الضالة التى ظاهر مذهبها الرفض وباطنها الكفر المحض وإلا فكيف يخطر بقلب من يدعى الإيمان الازراء بسادة المؤمنين واركان الدين أو يتطرق إليه القدح فيهم أخذاً بقول من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، وعدولا[1] عن ثناء الله عليهم فى مواضع عديدة فى كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فأين قول القادح المنتقص لهم المزرى بهم من قول الله تعالى الذى لا يبدل القول لديه

---

(١) عطف على قوله أخذا .

ولا يتصور أن ينعكس مدحه ذماً ولا رضاه سخطاً (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) (أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) .

فهذه الخيرات والفلاح والجنات المعدة لمن هي[1] ؟ ؟ .

(للفقراء المهاجرين الذى اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من من الله ورضوانا) الآيات .

(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

وهذا الرضا الأبدئ مَن المراد به ؟ ؟ .

(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

(إن الله اشترى مِن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

وهذه البيعة الرابحة من تولى عقدها؟؟ .

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) .

وهذا الأوصاف الجيلة من هو الموصوف بها ؟ ؟ .

---

(١) استفهام وما بعده هو الجواب عنه وكذا الامر فيما بعد .

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) الآيات .

(فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما) .

ياعجبا كيف تكون العصاه الفسقه بزعم الدعاة المرقة أحق بكلمة التقوى وأهلها ـ هلا كانواهم أحق بها وأهلها لزعمهم أنهم على الحق لا الصحابة وأتباعهم .

أغلط[١] صدر من البارى جل وعلا حتى أعطى القوس غير باريها ، أم سهو حصل ممن لا يضل ولا ينسى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وبادى الأمور وخافيها حتى يقول فيهم ذلك مع علمه بما سيكون منهم من التبديل والتحريف كلا والله بل كان الله بكل شىء عليما وكانواهم[٢] أحق بها وأهلها أزلا وابدا وعلم الله لا يتبدل والله أعلم حيث يجعل رسالاته .

ثم كيف أطنب فى مدحهم فى كتابه وعلى لسان رسوله وهو يعلم مايصدر منهم من التعاون على الظلم والعدوان وقول الزور والبهتان قبل أن يدفنوا نبيهم ويجهزوه ـ أغش منه[٣] لرسوله المحبوب مع ماله عنده من المكانة ، أو عجزت قدرته النافذة عن أن يختار ارسوله من يصحبه بالصدق ويؤدى شرعه بالأمانة أم أنزل كتابه وأرسل رسوله للاضلال لا للارشاد حتى مدح فيه من هو مذموم عنده من العباد .

---

(١) استفهام إنكارى .

(٢) أى الصحابة رضى الله عنهم وازلا أى مقدراً ذلك فى الأزل ومستمراً فيما لا يزال إلى انتهاء وجودهم .

(٣) استفهام انكارى .

فاعتبروا ياأولى القلوب والأبصار واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير .

فصل

فى أفضلية أبى بكر الصديق رضى الله عنه

وما أورده الخصم من تعداد مناقب لسيدنا أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ففضل على لاينكر وعلو منصبه وجلالة قدره أشهر فوق ما ذكر بأضعاف كثيرة وأكثر ولكن للصديق من الفضل ما هو أكبر ونصيبه من عطاء الله اتم وأوفر (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) .

وكما أن الرسل فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات فكذلك أتباعهم وأتباع اتباعهم هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون .

ثم إن كلا منا هذا إنما هو تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، وأما الخصم فإنه يلزمه على مذهبه الفاسد إبطال ما احتج به ورد ما أورده لأن هذه الأحاديث كلها وغيرها إنما رواها الصحابة الذين أبطل عدالتهم ورد شهادتهم ونقلها عنهم أتباعهم القائلون بمعتقدهم ، ورد شهادتهم على مذهبه أولى فكيف احتج برواياتهم فيما وافق رأيه وهواه وردها فيما هوأهم من ذلك من نقل أصل الدين وماسواه ، وأيما أعظم اعتقاد التفضيل(١) أم هدم قواعد الشرع والتعطيل؟؟

---

(١) أى تفضيل على رضى الله عنه ـ لاشك أنه أقل خطر أو ضرراً من هدم قواعد الشرع .

فانها لا تعمى الابصار ولـكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

جعلوا شغلهم الأهم مسألة التفضيل وصرفوا هممهم إلى غير ما امروا به من القيل والقال مع أنه مفروع منه وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولـكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

أولئك قوم قد لحقوا بالله وعرف كل منهم منزلته عند الله فى مقعد صدق عند مليك مقتدر إخوانا على سرر متقابلين ، والواجب على من بعدهم لهم ما يجب على لأولاد لآبائهم من البر والإحسان ، والاستغفار المأمور به بنص القرآن . (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) فانهم آباء أهل الإسلام إذهم الذين آووه ونصروه ثم مهّدوه وقرّروه ثم ادوه كما سمعوه فجزاهم الله عنا أفضل الجزاء .

وكل ما ورد من الفضائل فى حق على وغيره فمنهم نقل ومنهم عرف وكيف ينسب المبتدع نفسه إلى أنه أتقى منهم وأقوم بدين الله وأطوع لله وأعلم بمراد الله وينسبهم إلى أنهم خالفوا رسول الله فيما سمعوا منه مشافهة وخانوا الله ورسوله فى تقديم مفضول على فاضل والتمادى على الباطل فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى .

ثم لم تزل العلماء والأولياء والفقهاء والقراء وغيرهم يتناقلون هذه الأخبار وغيرها مما هو مشهور على مر الاعصار ويودعونها فى تصانيفهم ويتقربون إلى الله بذكرها فى تآليفهم ولم يصل الموافق والمخالف إلى علمها الا بواسطتهم وهم[1] معتقدون لما عليه الصحابة من ترتيب الخلفاء فى التقديم ، وتوفية كل

---

(١) أى العلماء .

منهم ومن سائر الصحابة ما هو له أهل من الاجلال والتكريم فلو علموا(١) أن تلك الأحاديث مصادمة لما فعلوا ومضادة لما اعتقدوا لكان كتمها وتبديلها بعكسها أهون إثما مما ارتكبوا من مخالفتها كفاحا والتمادى على الباطل إلى الموت وسن سنة قبيحة منسوبة إلى الله ورسوله كذبا يعمل بها من بعدهم إلى يوم القيامة .

فأى مصيبة أعظم فى دين الله من هذا الاعتقاد(٢) وأى فساد فى الدنيا والآخرة أشنع من هذا الفساد ، (سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) .

(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) اللهم إنا كما نشهد لك بالوحدانية ولنبيك بالتبليغ فانا نشهد لهم(٣) بالصدق فيما إلينا عنك أوصلوه وعن نبيك نقلوه وبأداء الأمانة فيما من أمر دينك تحملوه ولا نتخذهم أربابا ولا نجعل بعضهم على بعض أحزابا بل هم عبيد لك مربوبون سامعون لك مجيبون دعاهم نبيك فتابعوه وعلى نصر دينك بايعوه فصدقوا كما سميتهم الصادقين وما بدلوا تبديلا .

---

(١) أى الصحابة .

(٢) أى اعتقاد المخالفين .

(٣) أى للصحابة .

فصل

فى ذكر طرف من ثناء الرسول الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، وثناء أهل البيت الطيبين الطاهرين السادة الأتقياء والبررة الأصفياء (على الصحابة) وحث أمته على حبهم والتحذير عن سبهم وأمره باتباعهم والاقتداء بهم والكف عما شجر بينهم :

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » أخرجه البخارى ومسلم وقوله « لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه »(١) أخرجه البخارى ومسلم .

وقوله « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » أخرجه البخارى .

وقوله « إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم » أخرجه الترمذى .

وقوله « سألت ربى عن اختلاف أصحابى من بعدى فأوحى إلى يا محمد إن أصحابك عندى كالنجوم فى السماء بعضهم أقوى من بعض ولكل نور فمن أخذ بشىء مما هم عليه فهو عندى على هدى » أخرجه رزين فى جامعه .

وقوله « إن الله اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه

---

(١) المد : مكيال معروف ، والنصيف أحد شقى الشىء وجمعه انصاف اه قاموس.

صرفاً ولا عدلا(١) أورده المحب الطبرى فى الرياض النضره .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » أخرجه البخارى ومسلم .

وقوله « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » أخرجه الترمذى وصححه .

وشهد صلى الله عليه وسلم للعشرة بالجنة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجراح أخرجه الترمذى وأبو داود .

ودخل حائطا للانصار فاستأذن عليه أبو بكر فقال لأنس افتح له وبشره بالجنة ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك وقال فيه بشره بالجنة على بلوى تصيبه » أخرجه البخارى ومسلم .

وكان على حراء ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص فتحرك بهم الجبل فركضه النبى صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن حرا فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد أخرجه مسلم والترمذى وأخرجه البخارى وأبو داود » فذكرا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فقط .

وسمع سعيد بن زيد أحد العشرة رجلا يسب رجلا من الصحابة فغضب وقال والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح أخرجه الترمذى وأبو داود .

زاد رزين لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله أن لا يقطع الأجر عنهم

---

(١) توبة ولا فدية .

إلى يوم القيامة فالشقى من أبغضهم والسعيد من أحبهم .

فضل أبي بكر الصديق رضى الله عنه

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم سئل أى الناس أحب إليك فقال عائشة قيل من الرجال قال أبوها قيل ، ثم من ؟ قال عمر ابن الخطاب أخرجه البخارى ومسلم ، وقال لأبى بكر أبشر فإنك عتيق الله من النار فسمى من يومئذ عتيقا أخرجه الترمذى .

وقال «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى» أخرجه أبو داود .

وقال « ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر » ، وفى رواية « أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » ، وفى أخرى « أبو بكر وعمر فى أمتى كالشمس والقمر فى النجوم » وأوردها الحب الطبرى .

وأوذى أبو بكر فغضب صلى الله عليه وسلم لذلك غضبا شديدا وقال « هل أنتم تاركون لى صاحبى كررها ثلاثا إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لى صاحبى فما أوذى بعدها » أخرجه البخارى .

وقال « إن أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر » أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى .

وقال « ما لأحد عندنا يدٌ إلاّ وقد كافأناه ماخلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة » أخرجه الترمذى .

وفى تصديق ذلك نزل قوله تعالى (وسيجنّبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تُجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) فوعده الله تعالى بالرضا مكافأة عن نبيه صلى الله عليه وسلم وحكم له بأنه أتقى الأمة

بعد حكمه بأن أكرمكم عند الله أتقاكم فصار حكما بأن أبا بكر أكرم الأمة على الله وأفضلها .

ومن هنا قال فيه صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره أخرجه الترمذى .

استخلاف أبى بكر فى الصلاة

ولما ثقل النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه قال « مروا أبا بكر فليصل بالناس» وكان غائبا فقدّم القوم عمر فلما سمع صوت عمر تغيرت حالته وأطلع رأسه من الحجرة مغضَبا وهو يقول يأبى الله ذلك والمسلمون ليصل بالناس ابن أبى قحافة ثم بعث إليه فجاء وصلى بالناس مدة مرضه صلى الله عليه وسلم .

ولما قال مروا« أبا بكر فليصل بالناس راجعته عائشه ثم حفصة إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس فغضب وقال لأنتن صواحب يوسف » أخرجه البخارى ومسلم .

ووجد خفة فى مرضه فخرج وأبو بكر يصلى بالناس فلما رآه أبو بكر استأخر فأوما إليه أن مكانك إكراماله فلم يستطع ذلك أبو بكر إجلالا لمنصب الرسالة فماتبه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « أخرجه البخارى ومسلم » زاد الترمذى وقال له ألست أحق بها ؟ ألست أول من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ألست صاحب كذا ؟.

فلو قدم المسلمون غيره بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم يؤمهم فهل وافقوا نبيهم أو خالفوه ؟؟ وإذا ارتضاه الرسول لأمر دينهم فما بقى من أمر الخلافة[1]؟؟ .

---

(١) أى فأى شىء بقى من أمر الخلافة بعد أمر الدين .

أيحسن أن يكون خليفة غيره[١] لا يحسن له أن يتقدم بين يدى آحاد رعيته فى أعظم شعائر الدين من الصلوات الخمس والجماعات والأعياد فان كانت الخلافة جباية الأموال أو ما هو دون ذلك فبئس بها[٢].

وأى شيء استفاده الصديق من عقد البيعة له سوى أن ولاه المسلمون جباية الزكوات وصرفها فى مصارفها وهل كسب الصديق بولايته كنوز الأموال أو تنعم بالملابس الفاخرة أو اتخذ العبيد والخول أو شيد القصور وزخرفها ، وإذا لم يكن شيء من ذلك فأى شيء حمله على الظلم والعدوان وخسران الآخرة والأولى بزعم أعداء الله تعالى (فمن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) .

وقد كان فضله فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوراً بين الصحابة يعلمه الخاص منهم والعام ولا يداخل أحداً منهم شك ولا ريب فى أنه أعلام الخليقة منزلة عنده (صلى الله عليه وسلم) .

ولله درُّ حسان حيث يقول مخاطبا للنبى صلى الله عليه وسلم ويمدح أبا بكر بعد أن استدعى منه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالى الثانى المحمود سيرته وأول الناس طرًّا صدق الرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

وعن ابن عمر رضى الله عنهما « كنا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) استفهام جوابه لايحسن الخ .
(٢) اى فبئست هى ولو عبر بهذا كان أولى .

لم نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم» أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود .

وروى النسائي: «كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ولما قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير قال لهم عمر أيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر في الصلاة فقالوا بأجمعهم نعوذ بالله من ذلك » فعند ذلك بادروا إلى بيعته وقالوا رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا .

ثناء علي بن أبي طالب على الشيخين رضي الله عنهما

ومن ذلك عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل إلينا عهدا نأخذ به في إمارة ولكنه شيء من أنفسنا فاستخلفنا أبا بكر ورحمة الله على أبي بكر فأقام(١) واستقام ثم استخلف عمر ورحمة الله على عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه »(٢) أخرجه أحمد وفي رواية ثم حطمتنا فتنة يعفو الله فيها عمن يشاء .

وعن محمد بن الحنفية بن علي رضي الله تعالى عنهما قال « قلت لأبي أي أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية سألت أبي عن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قلت ثم من قال عمر ثم قال وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت ثم أنت فقال ما أنا إلا رجل مسلم » أخرجه البخاري وأحمد وأبو حاتم .

---

(١) أي أقام الدين وشرائعه .

(٢) جران البعير : بالكسر مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره أي استقر وثبت وفي هذا أبلغ تكذيب لمدعي الوصية لعلي ومنتقصي الصديق والفاروق .

وعن كثير بن عبدالله قال «قال رجل لعلى رضى الله تعالى عنه ياخير الناس فقال له أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لا قال فهل رأيت أبا بكر قال قال لا قال فهل رأيت عمر قال قال لا قال أما إنك لو قلت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لضربت عنقك ولو قلت رأيت أبا بكر أو عمر لجلدتك» أخرجه الإمام أحمد.

وعن على كرم الله وجهه قال «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ياعلى لاتخبرهما» أخرجه الإمام أحمدوالترمذىوأبو حاتم، وزاد سيدا كهول أهل الجنة وشبابها، وفى رواية قال على ما حدثتُ به حتى ماتا.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال «إنى لواقف فى قوم يدعون لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه ويترحمون عليه وقد وضع على سريره إذ رجلٌ من خلفى قد وضع مرفقه على منكبى فالتفت فاذا هو على رضى الله عنه وترحّم على عمر ثم قال رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنى كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنتُ وأبو بكروعمر، فعلتُ وأبو بكر وعمر انطلقت وأبو بكر وعمر، وما خلفت[1] أحداً أحب إلى من أن ألقى الله بمثل عمله منك» أخرجه البخارى.

ومما أورده المحب الطبرى عن على رضى الله عنه قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينى هاتين وإلا فعميتا وسمعته بأذنى هاتين وإلا صمتا وهو يقول «ما ولد فى الإسلام مولود أزكى ولا أطهر من أبى بكر ثم عمر.

---

(١) خطاب لعمر وهو مسجى على سريره.

وعنه فى قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) قال هم رسول الله وأبو بكر وعمر(١) .

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وعمر فقال والله إنى لأحبكما ومن أحببته أحبه الله والله تعالى أشد حبا لكما منى(٢) وإن الملائكة لتحبكما بحب الله لكما فأحب الله من أحبكما وأبغض من أبغضكما ووصل من وصلكما وقطع من قطعكما وأسعد من أسعدكما فى حياتكما وبعد مماتكما فقال على لقد ازددت لهما حبا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل أحبَّهما فان حبهما إيمان وبغضهما نفاق .

ماورد فى ذم الرافضة(٣)

وفى رواية يا على ألا أدلُّك على عمل إذا عملته كنت من أهل الجنة وأنت من أهل الجنة إنه سيكون بعدى أقوام يقال لهم الرافضة يرفضون الإسلام ويزعمون مودة أهل بيتى يستبُّون أبا بكر وعمر فاذا أدركتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون .

وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها قالت نظر

(١) وقيل هم النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل هم النبى وآله، وقيل هم النبى وأصحابه، وقيل جميع الناس الذين بعث لهم النبى صلى الله عليه وسلم وقيل العرب .

(٢) أى أنه تعالى أشد حبا لهما من حب الرسول صلى الله عليه وسلم لهما .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة : إن لفظ الرافضة إنما ظهر حين رفض بعض الشيعة زيد بن على بن الحسين رضى الله عنهم لما سئل فى الشيخين فترحم عليهما فرفضوه وسموا رافضة لذلك كما سمى من لم يرفضه منهم زيدية وكان ذلك فى آخر خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ فلم يكن لفظ الرافضة معروفا قبل ذلك . وبهذا يعرف كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التى فيها لفظ الرافضة ولكن كانوا يسمون بغير ذلك الاسم قبل ذلك هـ ومنه يعلم ما فى هذه الروايات المذكورة هنا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على فقال هذا فى الجنة وإن من شيعته قوما يسمون الرافضة يرفضون الإسلام من لقيهم فليقتلهم فانهم مشركون وأخرجه الإمام أحمد أيضا ، وفى رواية إن ممن يزعم أنه يحبك أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقال لهم الرافضة فان أنت أدركتهم فجاهدهم فانهم مشركون « كررها » ثلاثا قال يارسول الله وما علامتهم قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة أى لأهل السنة ويطعنون فى السلف الأول .

ثناء ابن عباس على الخلفاء الأربعة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وقد سئل عن الخلفاء الأربعة فقال أما أبو بكر فكان رحمه الله للقرآن تاليا ، وللشر قاليا ، وعن الفحشاء لاهيا ، وبالله عارفا ، ومن الله خائفا ، فاق الصحابة ورعاً وزهادة وبرا وأمانة ، فعقَّب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم القيامة ، وأما عمر فرحم الله أبا حفص فكان والله كهف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، ومحق حصنا حصينا ، وللايمان وأهله عونا معينا ، قائما بأمر الله ، صابرا محتسبا لله ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، وقورا فى الرخاء والشدة ، شكوراً الله على كل حال فأعقب الله من يبغضه اللعنة والندامة إلى يوم القيامة ، وأما عثمان فرحم الله أبا عمرو فكان والله أفضل البررة ، وأكرم الحفدة ، ومجهز جيش العسرة . كثير الاستغفار هجّاعاً بالاسحار ، سريع الدموع عند ذكر النار دائم الفكر فيما يعنيه فى الليل والنهار مبادرا إلى كل مكرمة فارا من كل هالكة ولقد عاش سعيدا ومات شهيدا فأعقب الله من قتله اللعنة إلى يوم القيامة ، وأما على فرحم الله تعالى ، أبا الحسن كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، وطود النهى ، وعين الندى ، ونورا مسفرا فى الدجى ، وداعيا إلى المحجة العظمى ومتمسكا بالعروة الوثقى ، أبو السبطين وزوج خير النساء ، فعلى من يبغضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد .

ثناء جعفر الصادق على الخلفاء الأربعة

وسئل عنهم أيضا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنهم أجمعين فقال أما أبو بكر فكان قد ملىء قلبه بمشاهدة الربوبية وكان لا يشهد مع الله غيره فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه (لا إله إلا الله).

وأما عمر فكان يرى كل ما دون الله صغيرا حقيرا فى جنب عظمة الله ولا يرى العظمة لغير الله فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه (الله أكبر).

وأما عثمان فكان يرى ما دون الله معدوما إذ كان مرجعه إلى الفناء وكان لا يرى التنزيه لغير الله تعالى فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه (سبحان الله).

وأما على فكان يرى ظهور الكون من الله وقيام الكون بالله ورجوع الكون إلى الله فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه (الحمد لله).

وطعن قوم فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما عند زين العابدين على بن الحسين بن على رضى الله عنهم فقال لهم بعد ان أغلظ لهم فى القول ألا تخبرونى هل أنتم من السابقين الأولين أو الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم قالوا لا قال فهل أنتم من الذين تبوؤا الدار والايمان الآية قالوا لا قال فانا أشهد كم أيضا أنكم لستم من الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان .

براءة محمد الباقر ممن يعادى الشيخين

وسئل الباقر محمد بن على زين العابدين عن أبى بكر وعمر فقال إماما عدل لا نالتنى شفاعة جدى محمد إن لم أتولاهما وأتبرأ ممن عاداهما ، وفى رواية قيل له ماتقول فى أبى بكر وعمر فقال أتولاهما واستغفر لهما ، وما أدركت أحداً من أهل

بيتى إلا وهو يتولاهما ، ومن جهل فضل أبى بكر وعمر جهل السنة ، وفى أخرى أنه قال لجابر الجعفى يا جابر أخبر أهل الكوفة عنى أنى برىء ممن تبرأ من أبى بكر وعمر ، وفى أخرى يا جابر بلغنى أن أقواما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر وعثمان فأبلغهم أنى إلى الله برئ منهم والذى نفس محمد بيده لو قدرت عليهم لتقربت بدمائهم .

شهادة زيد بن على بفضل الشيخين

وعن زيد بن على بن الحسن بن على رضى الله عنهم قال البراءة من أبى بكر وعمر براءة من على رضى الله تعالى عنهم فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر قال ذلك للرهط الذين اجتمعوا ليقاتلوا معه وقالوا لا نخرج معك إلا أن تتبرأ من أبى بكر وعمر فقال من سب أبا بكر وعمر فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[1] .

محبة آل البيت للشيخين وتكذيبهم الرافضة

وقال جعفر الصادق فى مرض موته اللهم إنى أحب أبا بكر وعمر فان كان فى نفسى غير ذلك فلا تنلنى شفاعة محمد .

وسئل عنهما موسى الرضا فقال أبو بكر جدى وعمر خَتنى أفترانى أبغض جدى أو ختنى .

وقال عبدالله بن الحسن بن الحسين بن على لرجل من الرافضة : ورب هذه البنية يعنى الكعبة إن ما تزعمون من أمر الإمامة لباطل والله إن قتلك لقربة لولا حق الجوار ولقد أساء بنا آباءونا إن كان ما تقولون من دين الله ثم لم يخبرونا به ولم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه ونحن أقرب منهم قرابة منكم وواجب عليهم أن يرغبونا فيه .

---

(١) فرفضه بعضهم ولذا اسموا الرافضة كما سمى من لم يرفضه زيدية نسبة إليه كما قدمنا .

ثناء علي على الشيخين على المنبر

وقال رجل لعلي سمعتك يا أمير المؤمنين تقول على المنبر اللهم أصلحني بما أصلحت به الخلفاء الراشدين الهادين المهتدين فمن هم يا أمير المؤمنين فاغرورقت عيناه بالدموع ثم قال : أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجُلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدى إلى صراط مستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون .

وعن علقمة رحمه الله قال سمعت عليا رضى الله عنه وهو على المنبر يقول بلغني أن أناسا يفضلونني على أبي بكر وعمر ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكني أكره العقوبة قبل التقدم فمن أتيتُ به بعد هذا وقد قال شيئا من ذلك فهو مفتر وعليه ما على المفترى ألا إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم الله أعلم بالخير .

وفى رواية أُتِي على رضى الله عنه وهو بالكوفة برجل ينتقص أبا بكر وعمر فأمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين لم تضرب عنقى وإنما غضبت لك قال وما ذاك ويلك قال إنى غريب ما صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علمت منزلة هذين الرجلين منه ومنك وإنما سمعت بعض من يغشاك يفضلك عليهما ويزعم أنهما ظلماك حقا وتقدماك فى أمرك فقال على أو تعرف القوم قال لا إلا بأعيانهم عند نظرى إليهم فقال والله ما ظلمانى ولا تقدمانى ولولا أنك قلت بغربتك وقلة معرفتك لضربت عنقك ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها أبا بكر وعمر وأثنى عليهما وقال فى آخرها ، واعلموا أن خير الناس هو نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم أنا وقد رميت بها فى رقابكم فلا حجة لكم علىّ عند الله .

وفى رواية أُتِيَ على برجل يقال له ابن السوداء كان ينتقص أبا بكر وعمر

فدعاه ودعا بالسيف وهمَّ بقتله ثم قال لا تساكنى فى بلدة فسيره إلى المدائن .

وفى أخرى أتى بعبد الله بن سبأ[١] وكان يفضل عليا على أبى بكر وعمر فقال اقتلوه فقال ابن سبأ أتقتل رجلا يدعو إلى حبك وحب أهل البيت فخلاه وقال من قدر عليه بعد ثلاثة أيام فليقتله وسيره إلى المدائن ثم خطب الناس .

خطبة بليغة لعلى فى الثناء على الشيخين

وعن سويد بن غفلة رضى الله عنه قال دخلت على على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقلت يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يتناولون أبا بكر وعمر فلولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على وفق ما أعلنوا به ما اجترؤا عليه فقال أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذى أتمنى المضى عليه لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العين يبكى حتى دخل المسجد فصعد المنبر فجلس عليه متمكنا قابضا على لحيته ينتظر اجتماع الناس إليه فلما اجتمعوا قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة : ثم قال ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين بما أنا عنه متنزه وعما قالوه برئ وعلى ما يقولونه معاقب والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن ولا يبغضهما إلا فاجر، صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيراه صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان فما يجاوزان فيما يقضيان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى كرأيهما رأيا ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهما راض ومضيا والمسلمون عنهما راضون، أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على

---

(١) أصله يهودى ثم أظهر الاسلام وزعم أخيرا الألوهية فى على وانه لم يمت وأتباعه يسمون السبائيين وهم من الفرق الضالة بالاجماع .

صلاة المسلمين وصلى بهم أبو بكر سبعة أيام فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض الله عز وجل نبيه واختار له ما عنده ولاه المسلمون ذلك أيضا وفوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان(١) ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين وأنا أول من سنّ له ذلك من بنى عبد المطلب ووالله إنه لذلك كاره يود لو أن أحدنا كفاه وكان والله خير من بقى ، ارحمه رحمة وارأفه رأفة وأثبته ورعاً وأقدمه إسلاما شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكائيل رأفة ورحمة و إبراهيم حلما ووقاراً سار فينا بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله عز وجل، واستخلف بعده عمر بعد أن استأمر أبو بكر المسلمين فى ذلك فمنهم من رضى ومنهم من كره وكنت ممن رضى فلم يفارق عمر الدنيا حتى رضى به من كان له كارها فأقام الأمر على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاج صاحبه يتبع أثرهما ويعمل بعملهما كاتباع الفصيل أمه وكان والله رحيما للضعفاء والمساكين عونا للمظلومين على الظالمين لا تأخذه فى الله لومة لائم قد ضُرب بالحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه حتى كنا نظن أن ملكا ينطق على لسانه ، أعز الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قَواما وألقى الله عز وجل له فى قلوب المؤمنين المحبة وفى قلوب المنافقين الرهبة ، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبرائيل فظا غليظا على الأعداء وبنوح عليه السلام حنقا مغياظا على الكفار ، فمن الذى كان لكم مثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا الله المضى على سبيلهما فإنه لا يُبلغ مبلغهما إلا باتباع أثرهما والحب لهما فمن أحبنى فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا برئ منه ولو كنت تقدمت إليكم فى امرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة ألا أنه لا ينبغى لى أن أعاقب قبل التقدمة ألا فمن أتيت به يقول هذا جلدته جلد المفترى ألا وخير هذه الأمة ابو بكر

---

(١) أى لأن الصلاة والزكاة مقرونتان فى كتاب الله عز وجل فى كثير من الآيات .

ابن أبي قحافة ثم عمر بن الخطاب ثم الله أعلم بالخير أقول قولي واستغفر الله العظيم لي ولكم ولاخواننا ثم نزل .

أخرجها كلها المحب الطبري وعزاها إلى مخرجيها حفاظ الاسلام .

وما أوردناه فقطرة من بحر من ثناء الله تعالى ورسوله وأصحابه وآله الطيبين الطاهرين على الصحابة كلهم وإنزالهم منازلهم وإلزام الخلق كافة محبتهم لحب الله ورسوله لهم .

الصحابة فريق متحد متناصرون

وهذه نصوص السادة أهل البيت النبوي علي وابن عباس وفاطمة وبني علي الحسن والحسين وابن الحنفية وزين العابدين ومحمد (الباقر) وجعفر (الصادق) وسائر السادة الذين اتبعوا آثارهم واقتفوا منارهم شاهدة لهم بمحبتهم ناطقة بموالاتهم ونصرتهم وأنهم وأبا بكر وعمر وعثمان بل وسائر الصحابة حزب واحد وفريق متحد متناصرون على الحق متظاهرون على الهدى ولا ينكر ذلك إلا جاهل مارد أو متجاهل معاند .

الرد على الشيعة وإلزامهم الحجة

وإذا كان الأمر كذلك فكيف اختار هؤلاء المارقون من الدين مروق السهم من الرمية ما جنحوا إليه من البدعة المهلكة الردية ثم يزعمون أنهم القائمون بنصرة العترة الفاطمية والموالون لأهل العصبة النبوية فان كانت موالاتهم ونصرتهم لغير من ذكرناهم من علي وأبنائه الهادين المهتدين فقد اعترفوا بالضلال ونحن براء مما زعموه ، وإن زعموا أنه حدث من أهل البيت من هو أهدى منهم فقد كابروا الحس وقيل لهم هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، وإن وافقونا على أن من ذكرناهم سادة أهل البيت فليشهد الله وملائكته

بأنا من اتباع أولئك نعادى من يعادون ونوالى من يوالون ، وأما الخصم (١) فبيننا وبينهم كتاب الله وسنة رسوله وأهل البيت المذكورون فما حكموا به على الصحابة من مدح أو ذم اتبعناه ونحن والله أولى منهم بموالاة السادة الكرام أهل البيت لاقتفائنا آثارهم (إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) .

فصـــل

فى أن الأدب مع الصحابة يوجب الكف عن التفاضل بينهم

واعلم أن من حسن الأدب معهم رضى الله عنهم أن نتلقى ماورد من فضائلهم ومناقبهم بالقبول ليقع فى القلوب موقع التعظيم ، ولا نشتغل بمقابلة هذه الفضيلة بهذه الفضيلة تفضيلا لأنه ربما خيف منه الازراء بالمفضول ، هذا مع اعتقاد ما أجمع عليه السلف (٢) .

وهذا كالنهى عن المجادلة فى تفضيل الرسل بعضهم على بعض مع تصريح القرآن بذلك وتصريح الرسول بأنه سيد ولد آدم مع قوله لا تفضلونى على يونس ابن متى .

---

(١) يريد به جنس الخصوم وهم الشيعة المذكورون .

(٢) قال فى المواقف وقد وجدنا السلف قالوا بأن الافضل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وحسن ظننا بهم يقضى بانهم لو لم يعرفوا ذلك لما اطبقوا عليه فوجب علينا أتباعهم فى ذلك القول اهـ ومما اجمع عليه السلف تعظيم الصحابة وتوقيرهم والثناء عليهم ومن تأمل سيرتهم ووقف على مآثرهم وجدهم فى الدين وبذلهم أموالهم وأنفسهم فى نصرة الله ورسوله لم يخالجه شك فى عظم شأنهم وبراءتهم مما ينسب اليهم المبطلون من المطاعن والمثالب ومنعه يقينه بعظمهم عن الطعن فيهم بل يرى ذلك مجانبا للايمان وكلا وعد الله الحسنى وقد فرق الله فيهم المزايا والفضائل والله تعالى هو الواهب والمقسم والله أعلم .

فكان اللائق بنا أن لانشتغل بالجواب عما أورده الخصم ولكن عند الضرورات[1] تباح المحظورات فنقول :

بطلان حجة الخصم

قد علمت مما سبق أن حجته داحضة من وجوه كثيرة .

(أحدها) أنه يزعم فسق الرواة فيعترف ببطلان شبهته على معتقده الفاسد فقد ألزم نفسه بطلان شبهته وكفى بنفسه عليه شهيدا فلا نشتغل بجوابه حتى يوافقنا على معتقدنا .

(الثانى) إذا اعترف زدناه فقلنا له كل هذه الأدلة الواردة فى فضائل سيدنا أمير المؤمنين على معارضة بأدلة أقوى منها ، وأقوى من ذلك كله الاجماع على فضيلة أبى بكر وتقديمه وصحة إمامته حتى من علىّ وسائر أهل البيت رضى الله عنهم ، وهذه النقول الصادقة المعتمدة بيننا وبينهم محكمة ولا يعطى أحد بدعواه وكل دعوى لاتؤيدها بينة شرعية مردودة .

(الثالث) أن اعتقادنا أفضيلة الصديق وصحة إمامته موجب لتقرير الشريعة وموجب لفضيلة على وإثبات فضائل أهل البيت وغير ذلك مع اعتقاد صدق الناقلين لذلك ، واعتقادهم أفضلية على موجب لبطلان إمامة الصديق وفسق الرواة فيوجب ذلك رد فضائل على أيضا وغيره فلو لم يرد نص فى أفضيلة الصديق ولا إجماع لوجب قطعا أتباع معتقدنا فكيف والأمر بالعكس فما أشبههم باخوانهم الزاعمين أتباع موسى والإيمان بالتوراة ويكفرون بمحمد والقرآن المصدق لموسى والتوراة مع أن شريعة موسى والتوراة موجبة للتصديق بمحمد والقرآن فكفروا بموسى والتوراة من حيث لايشعرون (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) .

---

(١) أى ضرورة الرد على أولئك الطاعنين المفترين .

(الرابع) مايترتب على معتقدهم من الإزراء بأمير المؤمنين على وسبّه بأعظم السب وحاشاه من ذلك لأنهم يزعمون أنه يعلم أنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى عهده فكيف نبذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره وضيع عهد الله وخذل دين الله ، بل وعلى ما أجمع السلف عليه من أنه لا نص فى الخلافة فيزعمون أنه يعلم أنه أفضل الأمة وان الخلافة متعينة عليه فقد نسبوه على كل تقدير إلى مالا يجوز لمسلم أن ينسبه إلى أفسق الولاة الظلمة من تضييع حقوق الله تعالى ورسوله وحقوق دينه وحقوق العباد وتركها بأيدى من يزعمون أنهم فسقة ظلمة متعاونون على الإثم والعدوان، هذا وهو البطل المقدام الذى لا يماثل به الشجعان فكيف رهب من الموت وآثر الحياة الدنيا وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج الزهراء وأبو السبطين، أما وجد فى بنى هاشم ثم فى قبائل قريش ثم فى سائر الأمة من يقوم بنصره ويعينه على أمره أو يبذل روحه لله ولرسوله ، وكيف قدر بعد ذلك على قتال معاوية وأتباعه لما رأى الامامة متعينة عليه .

أين يذهب هؤلاء الضلال (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

(الخامس) القرائن الشاهدة بوجوب تقديم الصديق أصرح وأظهر مما استدلوا به على وجوب تقديم على :

(فمنها) الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر فى الصلاة ولم يعزله فيبقى بالإجماع إماماً للمسلمين فى الصلاة بالنص المجمع عليه فيكون إمامهم فى غيرها من طريق الأولى إذ لا قائل بأن شيئا أعظم منها ولأنه يلزم منه لو عزلوه عن الصلاة [1] مخالفة النص الصريح وإن أبقوه فيها واستخلفوا غيره فيما سواها نقصانُ شأن ذلك الخليفة وانخرام أمر خلافته والقطع بأن ما بقى عليه الصديق من الصلاة أعظم شأنا مما استفاده الخليفة الآخر، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وقد نبه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه على ذلك بقوله

---

(١) أى بعده صلى الله عليه وسلم .

السابق استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة المسلمين وولاه المسلمون ذلك بعده وفوضوا إليه أمر الزكاة لأنهما مقترنان

ما ورد من الآيات والأحاديث فى ذلك

(ومنها) من الآيات قوله تعـــالى (وعد الله الذين آمنوا منـكم وعملوا الصالحات لَيستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمـكِّنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدِّلنهم من بعد خوفهم أمنا) الآية[1] فوعد الله حق وكلامه صدق والآية تدل بالنص الصريح على أنه لابد أن يكون فى هذه الأمة التى هى خير الأمم من المؤمنين المخاطبين بالآية خلفاء حق حتى يخلفوا رسوله كما خلف الرسلَ قبلهم خلفاء حتى يمـكِّن الله لهم دينهم الذى أكمله لهم وارتضاه فى حياة نبيهم ويبدلهم من بعد خوفهم فى أبتداء الإسلام أمناً فهذا منطوقها مجملا ويجب حملها عقلا ونقلا على الخلفاء الأربعة للاجماع على أنه لم يلحقهم من هو أولى بهذه الفضيلة منهم فهم الذين صدق وعدالله فيهم وهم أئمة حق وعلى هدى من ربهم قاموا بسياسة المسلمين والذب عن حوزة الاسلام أتم قيام فقرروا قواعد الدين فتمكن وأمن بهم المسلمون أبلغ أمن ، ثم هذه الأمور الموعودة كان ابتداؤها فى خلافة أبى بكر وكمالها على أتم الوجوه فى مدة عمر وصدر خلافة عثمان وانتهاؤها فى أيام على رضى الله عنهم أجمعين (٢)

---

(١) آية ٥٥ النور .

(٢) وفى لباب التأويل وفى الآية دليل على صحة خلافة الصديق والخلفاء الراشدين بعده لأن فى أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الأمن والتمكين وظهور الدين ثم قال فى الـكلام على الحديث الآتى إن خلافة أبى بـكر كانت سنتين وثلاثة شهور وخلافة عمر كانت عشر سنين وستة أشهر وخلافة عثمان كانت اثنتى عشرة سنة وخلافة على كانت أربع سنين وتسعة أشهر فتـكون المدة كلها تسعا وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين سنة بخلافة الحسن ستة أشهر ثم نزل عنها اه .

(وفى هذه) أيضا قوله صلى الله عليه وسلم « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا »[١] فالتعريف فى قوله الخلافة للعهد فكأنه قال الخلافة التى وعدكم الله بها .

ومتى صحت خلافة الأربعة وجب ترتيبهم فى الفضل والأحقية بها على الترتيب الواقع .

وقوله تعالى (قل للمخلَّفين من الأعراب ستُدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون)[٢] أى يكون أحد الأمرين إما قتالكم لهم أو إسلامهم وليسوا ممن يقاتَل حتى يسلم أو يعطى الجزية فأما المفسرون فحملوا الداعى على الصديق والقومَ أولى البأس على بنى حنيفة[٣] وأما من حيث تعيين ذلك أيضا فللعلم بأن ذلك الداعى للاعراب إلى الجهاد معهم ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى له (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) ولا عليا رضى الله عنه لأنه لم يقاتل كفارا ليسلموا ، ولا من بعده لانهم عندنا ظلمة وعندهم أشد ظلما وبقى الاحتمال منحصرا فى الثلاثة أبى بكر لقتاله أصحاب مسيلمة الكذاب وعمر وعثمان لقتالهما فارس والروم وترجح جانب الصديق لأن فارس والروم يقاتَلون ليسلموا أو يعطوا الجزية وأهل اليمامه يقاتَلون أو يسلمون ولهذا حمل المفسرون الآية على ذلك ليطابق الواقع .

---

(١) عضوضا أى فيه عسف وظلم

(٢) آية ١٦ الفتح وهو عطف على آية ٥٥ النور

(٣) حنيفة لقب أثال بن لجيم بالتصغير أبو حى . منهم خولة بنت جعفر الحنفية أم محمد بن على بن أبى طالب وقد اشتهر بابن الحنفية اه ومنهم مسيلمة الكذاب مدعى النبوة وهم الذين قاتلهم أبو بكر فى الحرب التى سميت حرب الردة .

فثبت أن الصديق هو الداعى الموعود به وتبثت خلافته وخلافة من بعده على الترتيب (١).

وقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)(٢)، فلو كانت امامة الصديق باطلة وقد أعانته عليها والامامة حق علىّ ولم تعنه لكانوا شر أمة يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .

وقوله تعالى (وإذ أسرّ النبى إلى بعض أزواجه حديثا)(٣) قال ابن عباس والله ان خلافة أبى بكر وعمر لفى كتاب الله تعالى وتلا هذه الآية ، وقال قال لحفصة أبوك وأبو عائشة أولياء الناس بعدى اخرجه الواحدى وأورده المحب الطبرى .

وقال فى قوله تعالى (ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه(٤)) قال الزرع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والشطء أبو بكر فآذره فقواه عمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضى الله تعالى عنهم .

---

(١) قال النسفى وفى الآية دلالة على صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند دعوته بقوله (فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً) وقال فى لباب التأويل : وفيه دليل على صحة خلافتهما لأن الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار اه .

(٢) آية ١١٠ آل عمران وهو عطف على الآيتين قبله .

(٣) آية ٣ التحريم وهو عطف على الآيات الثلاث قبله ، وفى كتب التفسير أن التى أسر إليها هى حفصة خلافا للشيعة القائلين إنها عائشة وأن الحديث هو حديث مارية وتحريمها على نفسه وقيل الحديث هذا وخلافة الشيخين بعده وهى التى أعرض عنها النبى صلى الله عليه وسلم لكراهة أن ينتشر ذلك بين الناس وهذا الاعراض كاف فى أن لا يذكر أصلا ولو بعد موته ولذلك لم تذكره السيدة حفصة بعد . وقال الآلوسى وقد جاء إسرار أمر الخلافة فى عدة اخبار اه فراجعه .

(٤) آية ٢٩ الفتح وهو عطف على الآيات الأربع قبله ، والشطء الفراخ . وهذا التفسير مروى عن عكرمة كما فى تفسير النسفى ولباب التأويل .

وعن أبي بن كعب رضى الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير سورة العصر فقال والعصر قسم من الله تعالى بآخر النهار إن الإنسان لفي خسر أبو جهل إلا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالصبر علي، أخرجه الواحدي وأورده المحب الطبري وموضع الدلالة سياق ترتيبهم الدال على ترتيب منازلهم في الفضل وهم يوجبون إمامة الأفضل وكذلك كل موضع ورد فيه ذكرهم لا نراهم إلا على هذا الترتيب .

ومن الأخبار (١) قوله صلى الله عليه وسلم « اني لا ادري ماقدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وماحدثكم به ابن مسعود فصدقوه » أخرجه الترمذى واخرج أحمد وأبو حاتم إلى قوله أبي بكر وعمر لاينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره أخرج الترمذى يأبى الله ذلك والمسلمون ثلاث مرات أخرجه الترمذى أيضا وقد سبق .

وقيل يارسول الله من نؤمِّر بعدك قال لأن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه أمينا قويا لايخاف في الله لومة لائم وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم أخرجه(٢) وأشار بقوله ولا أراكم فاعلين إلى اختلافهم عليه يوم ولايته ، وعدم ذكره لعثمان لأن كلامه هنا جواب لهم ولم يسألوه عنه فنقل الراوى الجواب دون السؤال .

---

(١) عطف على قوله سابقا من الآيات أى ومنها ما ورد من الأخبار في ذلك .

(٢) هنا بياض بالأصل وينظر في ثبوت هذا القول والرواية الأخرى بعده وكذا في حديث الأعرابي بعده وحديث بني المصطلق والثابت أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص في شان الخلافة بعده على أحد ولم يوص به ولو كان لعرف واشتهر ولا حج به علي وكان القول الفصل في الأمر ، وما ذكره الخصم مطعون فيه .

يوضحه أنه قد جاء أيضا فى رواية قيل له يارسول الله ألا تستخلف قال إنى ان استخلفت عليكم فعصيتم خليفتى نزل بكم العذاب قالوا ألا نستخلف أبا بكر قال إن تستخلفوه تجدوه قويا فى أمر الله ضعيفا فى نفسه قالوا ألا نستخلف عمر قال إن تستخلفوه تجدوه قويا فى أمر الله قويا فى نفسه ، قالوا ألا نستخلف عليا قال إن تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم الصراط المستقيم .

وبايع صلى الله عليه وسلم أعرابيا بقلائص إلى أجل فقال يارسول الله إن أعجلتك منيتك فمن يقضينى قال يقضيك أبو بكر قال فإن تأت أبا بكر منيته فمن يقضينى بعده قال عمر قال فإن عجلت منيته فمن يقضينى بعده قال عثمان قال فإن عجلت بعثمان منيته فمن يقضينى بعده فقال إذا أتى على أبى بكر وعمر وعثمان أجلهم فإن استطعت أن تموت فمت فان باطن الأرض خير لك من ظاهرها أورده المحب الطبرى .

وسأله بنو المصطلق إلى من ندفع زكاتنا إن حدث بك حدث فقال : « ادفعوها إلى أبى بكر قالوا فإن حدث بأبى بكر حدث الموت فإلى من ندفعها فقال إلى عمر فقالوا إلى من ندفعها بعد عمر فقال إلى عثمان قالوا فإن حدث بعثمان حدث فإلى من ندفعها فقال إذا حدث بعثمان حدث فتبًّا لكم آخر الدهر أورده المحب الطبرى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم بستاناً فأتى آت فدق الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس قم افتح له وبشره بالجنة وبالخلافة بعدى قال قلت أعلمه بذلك يا رسول الله قال أعلمه(١)

---

(١) البشارة بالجنة ثابتة فى الأحاديث فى قصة بئر أريس وإدراج حديث الخلافة فى هذه القصة غير ظاهر لما ذكرنا قبله ونحن مع القطع بصحة خلافة الخلفاء الراشدين بترتيبهم بالطريق الشرعى الصحيح ورفض كلام الشيعة المخالف لذلك لا نقر صحة هذه الروايات والله أعلم .

ففتحت فإذا أبو بكر رضى الله عنه فقلت ابشر بالجنة وبالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر فى عمر وعثمان كذلك وذكر فى عمر أنه الخليفة بعد أبى بكر وفى عثمان أنه الخليفة بعد عمر وأنه مقتول وان عثمان قال له يارسول الله والله ماتمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعتك بها قال هو ذاك ياعثمان أورده المحب الطبرى وأشار إلى أن هذه قصة غير قصة بئر أريس التى رواها أبو موسى المشهورة فى الصحيحين وغيرهما .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِىَ الليلة رجلٌ صالح كأن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بأبى بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر فقلنا أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاة الأمر الذى بعث الله به نبيه بعده أخرجه أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم « بينما أنا نائم رأيتنى على قليب أى بئر عليها دلو فنزعت ماشاء الله أى لسقى الناس على حوضها ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذَنوبا أو ذنوبين[1] وفى نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم أخذها ابن الخطاب فنزع حتى روى الناس ووصفه بالقوة أخرجه البخارى ومسلم وأحمد وأبو حاتم مع اختلاف فى بعض الالفاظ .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى بكر كيف انت يا أبا بكر إن وليت الأمر بعدى فقال بل قبل ذلك أموت يارسول الله قال فانت ياعمر قال هلكت إذًا قال فأنت ياعثمان قال آكل وأطعم وأقسم فلا أظلم ، قال فأنت ياعلى قال آكل القوت واخفض الصوت وأقسم التمرة وأحمى التمرة ، قال كلكم سيلى وسيرى الله عملكم أورده المحب الطبرى .

وقال ذات يوم من رأى الليلة رؤيا فقال رجل أنا يا رسول الله رأيت

---

(١) الذنوب بالفتح الدلو .

كأنّ ميزانا نزل من السماء فوزنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبى بكر ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر بعمر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان قال الراوى فرأينا الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية فاستاءلها يعنى فساءه ذلك وقال خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك من يشاء .

وسبب الكراهة التى بدت فى وجهه صلى الله عليه وسلم ليس راجعا إلى رجحان بعضهم ببعض لأن ذلك هو المعلوم المقرر عنده بل راجع إلى قوله ثم رفع الميزان ، وهذا الميزان هو الميزان المشار إليه بقوله تعالى (الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) وهو الميزان الذى يوزن به حكم الكتاب الذى نزل مقارنا له فيسوّى به الحقوق ويقام فيها القسط فيعطى كل ذى حق حقه ، ولما أخبره أن ذلك الميزان رفع بموت عثمان علم أن استقامة أمته على أكمل الأحوال وأتم قوانين العدل إلى موت عثمان وهذه المدة هى المشار إليها بقوله خلافة نبوة أى كاملة من كل وجه باجتماع الكلمة واتحادها كما اجتمعوا على نبيهم سامعين مطيعين ثم يحصل الجور فى جانب فيعطى بعض الحق غير أهله كما انصرفت الخلافة من على وآله إلى بنى مروان ولا يقدح ذلك فى خلافة سيدنا على لأنه قد أدخل مدته فى أسهم الخلافة الموعود بها فى قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم) فهذه هنا خلافة نبوة وهى خلافة خاصة مشروط فيها اتحاد الكلمة والتى فى الآية خلافة حق عامة مطلقة والله أعلم .

وقال رجل يا رسول الله رأيت كأن دلوا دلى من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء على فأخذ بعراقيها

فانتشطت واتضح عليه منه شيء أخرجه أبو داود ، ومعنى انتشطت جذبت ورفعت قبل أن يتمكن من الرى من غير تقصير منه ولا تفريط ومع تأهله وشدة حرصه عليه لولا ما حال بينه و بينها من القضاء المبرم وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ما ورد من الآثار فى ذلك

ومن الآثار عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه واليا على عمان ومات رسول الله وهو ثَمَّ فجاءه عالمهم وكان قد أسلم ليلة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى عليه أجله هذه الليلة وإنا نجد ذلك فى كتابنا قال فلم ألبث أن جاءنى كتاب أبى بكر بذلك . قال فقلت لهم(١) هذا الذى ولينا بعده ما تجدونه فى كتابكم ؟ قال يعمل بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم اليسير ثم يموت قال قلت ثم ماذا قال : ثم يليكم قرن الحديد يملأ مشارق الأرض ومغاربها قسطا وعدلا لا تأخذه فى الله لومة لائم أورده المحب الطبرى .

وأخرج أبو داود أن عمر رضى الله عنه سأل الأسقف وهو عالم النصارى لما قدم عليه كيف تجدونى عندكم فقال قرن حديد ثم تعرضٌ لخلافة عثمان بعده وخلافة على بعده رضى الله عنهم .

وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال كنت ببُصرى من أرض الشام فأدخلنى النصارى ديرا كبيرا فيه تصاوير كثيرة فإذا بصورة رسول الله

---

(١) أى لهذا العالم عندهم ومن معه من قومه وقوله : اليسير أى اليسير من الوقت .

صلى الله عليه وسلم وصورة أبى بكر رضى الله عنه وهو آخذ بعقب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هل ترى صفة صاحبكم قلت نعم ولا أخبركم حتى أرى ماتقولون قالوا هو هذا قلت نعم أشهد أنه هو . قالوا أتعرف هذا الذى أخذ بعقبه قلت نعم قالوا نشهد أنه الخليفة من بعده . قال وذلك فى ابتداء الإسلام والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة يومئذ أورده المحب الطبرى .

فضائل أبى بكر الصديق الخاصة به

ثم إنه مما ألجأ الصحابة رضى الله عنهم إلى المبادرة بعقد البيعة للصديق رضى الله عنه مع ماقد عرفوه له من الفضل ما أبان الله به فضله وأظهر به شأنه وغزارة علمه ونبله .

(فمنها)[١] ثباته عند اختلافهم فى موت النبى صلى الله عليه وسلم واضطراب عقول أشدهم بأسا عند تلك الصدمة العظيمة[٢] فخطبهم وقرر لهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وعزاهم به وقوى عزائمهم على الصبر ونصرة الدين والثبات على ما كان عليه نبيهم صلى الله عليه وسلم بقوله رضى الله عنه أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت . ثم تلا قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) فكأنهم لم يسمعوا قبل مقامه ذلك بهذه الآية فحمدوا الله واسترجعوا وصبروا وثبتوا ولو كان الخطب عظيما .

---

(١) أى من تلك الأمور التى أبان الله بها فضله الخ .

(٢) أولهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ثم قال لهم ليجمع شملهم على الهدى (واعتصموا بحبل الله جميعاولا تفرقوا) إنه لابد لهذا الدين ممن يقوم به ولم يدعُهم قط إلى نفسه ولا طلب انقيادهم له خاصة فأناب الكل إلى قوله إلاّ أن الأنصار رضي الله عنهم قالوا صدقت ولكن منا أمير ومنكم أمير أي لأنهم كانوا ممتازين أيام الرسول فالمهاجرون حَيِّزٌ والأنصار حَيِّزٌ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايؤمر على المهاجرين رجلا منهم وعلى الأنصار رجلا منهم مع أنهم كلهم يؤول أمرهم إليه .

فعرّفهم الصديق أن القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم مقامه فيجب الإجماع عليه وهي الولاية العظمى وتلك ولاية في بعض الأحوال تكون بنظر الامام فلا يجوز أن تكون الإمامة إلا لشخص واحد .

ثم يجب أن يكون قرشيا لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » وأيضا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقد سمانا الصادقين في قوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) فقد أمركم الله أن تكونوا تبعا[1] فاذعنوا له واعترفوا بغزارة علمه فعقدوا له البيعة كارها .

ثم اختلفوا في أي موضع يقبر النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من قال ينقل إلى مكة لأنها مسقط رأسه ومنشؤه ومقام أبيه إبراهيم وحرم الله الأعظم ، .

---

(١) في هذا دليل على أن أمر الخلافة لم يكن فيه نص من الرسول صلى الله عليه وسلم وإلا لوجب على من سمعه أن يرويه للصحابة في سقيفة بني ساعدة في ذلك اليوم لحرمة كتمانه ولوجب العمل به ولم تكن هناك حاجة إلى غيره وبهذا تعلم أيضا ما في الروايات السابقة التي علقنا عليها واستبعدنا ثبوتها فافهم .

وقال قوم بل ينقل إلى بيت المقدس عند أبيه إبراهيم وإخوانه الأنبياء والمرسلين ، وقال قوم بل يقبر فى البقيع بالمدينة عند أصحابه لأنها قد صارت دار هجرته والبقيع « بالباء » هى المقبرة التى أمر بها صلى الله عليه وسلم فتنازعوا فى ذلك فرجعوا إليه فقال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « إن الأنبياء تدفن حيث تقبض أرواحهم » أو كما قال فادفنوه فى حجرته فزال عنهم الخلاف واطمأنت قلوبهم ببركته رضى الله عنه .

موقف رائع للصديق حيال جيش أسامة

ولم يزالوا يتعرفون بركة رأيه وغزارة علمه وثبات جأشه فأول شىء اختلفوا فيه بعد دفن النبى صلى الله عليه وسلم وعقد البيعة له جيش أسامة بن زيد رضى الله عنهما وكان النبى صلى الله عليه وسلم أمره على جيش ومات والجيش مجموع بظاهر المدينة فأشار جمهور الصحابة على أبى بكر بتخليفه ليكون عونا للمسلمين خشية أن يحدث على المدينة حدث قبل استقرار الأمر فأبى إلا تنفيذه لجهته وقال والله لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ما حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ويكون ذلك أول شىء أبدأ به فى امرى فنفذه لشأنه فحمدوا عاقبته وبركة رأيه لما كان فى ذلك من الإرجاف بكثير من أعداء الدين ، وكانت الأعراب التى حول المدينة قد أشاعوا الردة فلما رأوا ذلك قالوا والله ما تجاسر هؤلاء على تجهيز الجيوش إلا وأمرهم مجتمع وشملهم متحد فانكسر به حدهم .

موقف آخر رائع للصديق فى حرب الردة

ثم من العرب من ارتد كبنى حنيفة ومنهم من منع الزكاة فقط فعزم على قتال الكل فنازعه الصحابة أولا فى قتال مانعى الزكاة وقالوا كيف نقاتلهم

وهم يقولون لا إله إلا الله وقد قال صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» فقال ألم يقل «إلا بحقها» وهذا من حقها والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة لأنهما مقترنان . فى قوله تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) قالوا له فلملك تعرض أولا عن مانعى الزكاة وتستعين بهم على أهل الردة ثم إذا استقر الأمر فلك فيهم شأنك فقال فان ترك آخرون الصلاة وآخرون الصيام وانحلت عرى الدين عروة عروة فماذا أفعل ؟؟ بل استعين بالله على نصرة دينه وهو خير الناصرين فانشرحت صدورهم برأيه المبارك وانقادوا له وعرفوا بذلك علو همته وشدة عزمه فحصل النصر والظفر واستقرت قواعد الدين ببركته رضى الله عنهم أجمعين .

ما ورد فى فضل على بن أبى طالب وآل البيت

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من كنت مولاه فعلى مولاه» أخرجه الترمذى وأحمد ، وفى بعض طرقه «ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يارسول الله قال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره» .

وعنه أيضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لعلى أنت أخى فى الدنيا والآخرة» أخرجه الترمذى .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا على سرية فلما رجعوا شكاه أربعة نفر من السرية والنبى صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ثم أقبل عليهم والغضب يعرف فى وجهه فقال «ماتريدون من على إن عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن من بعدى» أخرجه الترمذى وأحمد .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف على بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يارسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي أخرجه البخاري ومسلم .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به ان تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ان يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما أخرجه الترمذي .

والاخبار الواردة في فضل على وسائر أهل البيت الطيبين الطاهرين أكثر من أن تحصر وفضلهم ومجدهم وفخرهم أشهر من أن يذكر[١] .

وليس من شرط محبتهم وموالاتهم الغلو في الدين واتباع سبيل المفسدين قال الله تعالى (لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) .

وما استمسك به المبطلون في أن هذه الأحاديث وأمثالها تقتضى أن يكون سيدنا على هو الوصي بالخلافة وأن خلافة الثلاثة من الأتقياء قبله معصية مخالفة[٢] لنص الرسول وإفك مفترى اجترؤا عليه سفها بغير علم افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ، ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً . (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه به منه

---

(١) كل ما ورد من هذه الأخبار يدل على الفضل لا على التفضيل في الخلافة كما يزعم الروافض

(٢) مخالفة خبر قوله وما استمسك به المبطلون .

ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) على وفق آرائهم الفاسدة (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) (أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) . (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) .

* * *

وأى سخط أعظم ممن يعتقد رأياً يؤدى إلى تكذيب الله تعالى ، وتكذيب أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وتخطئة على وابن عباس وأتباعهما من سادة أهل البيت بموالاتهم الصحابة ونسبتهم إلى خذلان دين الله بتركهم بذل أنفسهم فى نصرة الله ورسوله إلى غير ذلك من الآثار القبيحة والفضائح الشنيعة قبح الله معتقديها الذين استحبوا العمى على الهدى وأذاقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون .

* * *

يا عجباً أى عقل أو نقل يقتضى أن يرتكب مثل ذلك بمجرد احتمال قام الإجماع على أنه غير مراد مع أنا لو وجدنا ألف آية فى كتاب الله تعالى وألف حديث يتواتر فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم متطابقة على الأمر بتولية على بعد النبي ثم وجدنا الإجماع منعقدا من الصحابة ومن على أيضا على أن الصديق أولى بالخلافة وعلى تصويب ما فعلوه كانت القواعد المقررة والأصول المحررة المتفق عليها بين أئمة الدين تقتضى إما حمل تلك النصوص كلها على النسخ ويمحو الله ما يشاء ويثبت، وإما على التأويل المؤدى إلى الجمع بينها وبين ما اجمعوا عليه ولم يداخلنا شك فى أنهم إنما امتثلوا بما أجمعوا عليه أمر الله تعالى ولم يتعدوا حكم الله لأنا إن لم نعتقد ذلك لزمنا اعتقاد بطلان الكتاب كله

والسنة كلها وحصلنا على مراد أعداء الله تعالى المتظاهرين بالرفض المضمرين الكفر المحض فكيف لا نتأول احتمال أحاديث قد عورضت بما هو أقوى منها متناً وسنداً مستنداً إلى الإجماع وتقرير كل نص فى محله .

الرد على الخصم فيما ذكره من الاحاديث

فقوله صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلىّ مولاه »[1] ومثله « علىّ ولى كل مؤمن بعدى » يحتمل أن يريد ما زعمه الخصم وهو إثبات الولاية أعلى عليهم والتصرف فيهم بعده صلى الله عليه وسلم من غير فاصل بينه وبينه[2] ويحتمل أن يكون مع فاصل .

ويحتمل أن يكون المراد بالمولى القائم بالنصرة والتقدير من كنت مولاه فعلىّ قائم مقامى بعدى فى نصرته وهو ناصر كل مؤمن بعدى ، أومن كان علىّ نصرته فعلىّ عليه ذلك أيضا لأن قرابة الرجل تتحمل ما على قريبه وفائدة اختصاصه بذلك ماعرف اعلى من النصرة لدين الله بما لم يعرف لغيره فكم جلى

---

(١) أصله عند الخصم كما فى المواقف أنه عليه الصلاة والسلام أحضر القوم بعد رجوعه من حجة الوداع بغدير خم (وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة) وأمر بجمع الرحال فصعدعليها وقال لهم ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله فزعم الخصم أن المراد بالمولى الأولى بالتصرف وقال العضد فى الرد عليه لانسلم صحة الحديث وقدطعن فيه ابن أبى داود السختيانى وأبو حاتم الرازى وغيرهما من أئمة علم الحديث ولم يروه البخارى ومسلم وغيرهما فى الصحاح على أن أكثر الرواة لم يرو مقدمة الحديث فيتعين أن المراد بالمولى الناصر بدليل آخر الحديث وتفسير الخصم لا يناسب لغة فالحق تفسيره بالناصر اه ملخصا .

(٢) العبارة فى الأصل قلقة غير مستقيمه فأصلحناها بما ترى .

من كروب وكم كابد من حروب وكم فتح الله على يديه فى زمنه صلى الله عليه وسلم وكان ذلك كله منه لنصرة الله ورسوله والله ورسوله ولى المؤمنين (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا) أى ناصرهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصرلهم وذا كان كذلك أعلمهم أيضا أنه يبقى بعده على ما كان عليه ناصرا لمن كان النبى ناصره ، وصدق صلى الله عليه وسلم فكم أشاد الله به من دعائم الإسلام وأثبت له بها المنة فى عنق الخاص والعام[1] .

ويحتمل أن يريد به إثبات الخلافة له فى الجملة لكن بعد فاصل بينه وبينه وقد وقع ذلك ، وهذا كما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه حورية فى الجنه لعثمان فقال لها لمن أنت قالت للخليفة بعدك[2] ومثل ذلك جائز فى كلام العرب حقيقة ومجازا لصدق البعدية حتى على أهل عصرنا هذا ولو صدق عليهم اسم الخلافة حقيقة لم يزل اسم الخلافة مستمرا على مر الزمن لأن قولنا جاء زيد بعد عمر ويحتمل أنه جاء بعده من غير فاصل ومن غير مهملة ويحتمل عكس ذلك فكذلك قوله بعدى[3] على هذا الوجه محتمل ، وعلم الصحابة بترجيح الاحتمال الثانى[4] بتولية أبى بكر فى الصلاة مع حضور على وغيره

---

(١) فى الأصل فكم أشاد الله من دعائم الإسلام وما أثبتناه هو المناسب .

(٢) فبعديته فى الرؤيا بعدية غير مباشرة كما هو الواقع :

(٣) اى قوله صلى الله عليه وسلم بعدى فى الحديث السالف وهو « على ولى كل مؤمن بعدى » .

(٤) وهو أن المراد بالمولى القائم بالنصرة دون المتصرف وإلا لكان على متصرفا فى حال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى الذى يزعمه الخصم لعدم تقييد البعدية فى هذا الحديث وهو باطل قطعا باتفاق الفريقين فوجب حمله على القائم بالنصرة فلا يتم للخصم الاحتجاج بهذا الحديث على ما يزعمه .

[و] هو خبر متفق على صحته(١) بخلاف شيء من هذه الأخبار فانها غاية ماتبلغ درجة الحسن سوى قوله « أنت مني بمنزلة هرون من موسى ».

الرد على الخصم

في الاستدلال بحديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى

وقد علم من سياق القصة أنه قاله له تطييبا لخاطره وإعلاماً له أن ما اختاره له من الخلافة عنه بالمدينة عند سيره إلى الجهاد في تلك المرة لا غير لا نقص عليه فيه وأن تلك المنزلة منزلة هارون – الذي هو أرفع منه درجة — من موسى حيث يقول موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي ، وأن الرفعة له فيما اختاره له من المضي معه كما هو أكثر أحواله والتخلف عنه كما في تلك المرة(٢) وكيف يكون

---

(١) قوله بتولية أبي بكر يتعلق بقوله علم الصحابة أي علمهم بترجيح الاحتمال الثاني سببه تولية الصديق في الصلاة إلى آخره ثم قال وهو أي توليته في الصلاة خبر متفق على صحته ولذلك زدنا الواو وقلنا وهو خبر وكان الأصل هو خبر وعليه تكون العبارة ركيكة فأصلحناها كما ترى وهو المناسب .

(٢) لما خرج صلى الله عليه سلم إلى تبوك لم يأذن لأحد في التخلف عنها وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم فلم يتخلف عنه إلا النساء والصبيان أو من هو معذور لعجزه عن الخروج أو من هو منافق واستخلف عليا على المدينة فقال بعض المنافقين إنما خلفه لأنه يبغضه فخرج على إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي وقال أتخلفني مع النساء والصبيان وهو مع ذلك رجل الحرب الشجاع المقدام الحريص على أن يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم جميع الوقائع لعظم أجرها فبين له صلى الله عليه وسلم أنه إنما استخلفه لأمانته عنده وأن الاستخلاف ليس لبغض ولا غض فان موسى استخلف هارون على قومه فكيف يكون بغضا وموسى يفعله بأخيه فطيب بذلك قلب علي وبين له أن جنس الاستخلاف يقتضي كرامة المستخلف وأمانته لا إهانته ولا تخوينه. =

مراده بذلك تولية الخلافة بعده وهارون المشبه به مات قبل موسى عليهما السلام وإنما خلفه فتاه وصاحبه فى سفره يوشع الذى هو بمنزلة الصديق ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فصح أن عليا منه فى تلك المرة بمنزلة هارون من موسى وأبو بكر منه بمنزلة فتى موسى من موسى فى تولية عهد الخلافة بعده ، وفائدة جمع المسلمين وإشهادهم «على ما فى بعض طرق الحديث من قوله ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه إلى آخره » إخبارهم بأن عليا كان خليقا بما ولاه عليه من أمر السرية بل ومتأهل لتولية أمر الأمة بعده أيام خلافته التى وقعت لاسيما وقد شكرا منه فأراد التنبيه على جلالة قدره وتعريفهم بأنه سيولى أمرهم ليتمرنوا على اعتياد طاعته ويوطنوا به الآمال إذا توقعوها كائنة وليحذرهم من مخالفته والخروج عليه لما أطلعه الله من أنهم لا يجتمعون عليه لتكون إقامة للحجة على من يعمل على خلافه يومئذ .

ولو كان المراد مازعمه الخصم للزم منه ما يترتب عليه من المفاسد السابقة فوجب العدول عنه عقلا ونقلا .

= ولم يكن هذا الاستخلاف من خصائص على كرم الله وجهه فقد استخلف النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا غيره فى غزوات سابقة ولم يقل أحد إنه دليل على خلافة المستخلف بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين وقد استخلف الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أبا بكر على الحج واردفه بعلى فكان أبو بكر أميرا عليه وعلى من معه وكان على تحت امرته يصلي خلفه ويأتمر بأمره فكان ذلك دليلا على فضل أبي بكر عليه رضي الله عنهما .

إفحام الحسن المثنى لمثل هذا الخصم

وما أحسن قول الحسن المثنى بن الحسن بن علي رضي الله عنهم لما قال له الرافضي بزعم ما زعمه الخصم الاسماعيلي: ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال الحسن أما والله لو عنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتزعمه من الخلافة بعده وتوليته عهده لأفصح به ولقال أيها الناس إن عليا هو ولي عهدي والخليفة من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا أي كما أفصح بالصلاة في قوله مروا أبا بكر فليصل بالناس وكما قال أسمعوا وأطيعوا وإن كان عبدا حبشيا .

ثم قال ولئن كان ما زعمتم حقا أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار عليا لهذا الأمر بمشهد من المسلمين فان عليا يكون أعظم خلق الله إثما وأخشهم خطيئة وجرما إذ ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام بأمر الله وحابى فيه الناس ، أورده المحب الطبري .

الرد على الخصم في الاستدلال بحديث المؤاخاة[١]

وأما قوله صلى الله عليه وسلم لعلي «أنت أخي في الدنيا والآخرة» فذلك بعد أن آخى بين المسلمين وجاءه علي تدمع عيناه قال يارسول الله آخيت بين أصحابك

---

(١) قال في منهاج السنة إن حديث المؤاخاة موضوع عند أهل المعرفة بالحديث واضعه كاذب جاهل والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ أحدا ولا آخى بين مهاجري ومهاجري ولا بين أبي بكر وعمر ولا بين أنصاري وأنصاري وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار في أول قدومه المدينة وآخى بين علي وسهل بن حنيف كما آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ليعقد صلة بين المهاجرين والأنصار وكانوا يتوارثون بهذه الأخوة حتى نزل قوله تعالى (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وما يرويه الشيعة من قوله صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني بمنزلة أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي =

ولم تؤاخ بينى وبين أحد فالسياق يدل على وقوع القول وجوبا تطييبا لقلبه مع أنه حق فى نفسه، والأخوة هنا أخوة الإسلام، واختصاص على بها فى هذا المقام فضيلة هو لها أهل .

رجحان فضائل الصديق

ولكن إذا قوبلت[1] هذه الفضيلة بفضيلة الصديق التى أثبتها له صلى الله عليه وسلم ابتداء بقوله وهو على المنبر قبل أن يموت بأيام قلائل فى مرضه الذى مات فيه وقد خرج عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى ابرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل وإن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا من أمتى لا اتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وفى رواية ألاَ وإنى ابرأ إلى كل خل من خلته أخرجه البخارى ومسلم والترمذى مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، واتفقوا على قوله لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخى وصاحبى — ظهر لك أن الله يمن على من يشاء من عباده ويختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأين قوة السند من السند والمتن من المتن[2] والفضيلةُ من الفضيلة والقولُ المبتدأ من القول المستدعَى وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير

= دينى فهو كذب مفترى باتفاق أهل العلم بالحديث كما ذكره الإمام ابن حزم وابن الجوزى فى الموضوعات اﻫ ملخصا والمصنف هنا تأول الحديث على فرض ثبوته ولكن الحق أنه غير ثابت وأنه من مفتريات الشيعة .

(١) جواب إذا قوله فيما يأتى ظهر لك أن الله يمن إلخ .

(٢) وقد علمت أن حديث المؤاخاة موضوع وأما حديث الخلة فهو فى الصحاح فبينهما ما بين الكذب والصدق من البون الشاسع .

الردّ على الخصم فى الاستدلال بحديث التمسك بالعترة

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا إلى آخره »[1] فصدق صلى الله عليه وسلم ولكن الشأن فى فهم من هو أحق بهذه الفضيلة فان كان[2] أهل بيته العباس وابنه وعليا وبنيه ومن اقتفى أثرهم واتبع أعمالهم وأقوالهم من أهل البيت إلى يوم الدين فقد ظهر مصداق ذلك إذ لم يزالوا قرناء كتاب الله وسنة رسول الله وانتشر عنهم من التفسير والحديث والفقه والمواعظ والحكم والسياسات الرياضية وغيرها ما طبق الأرض وملأ أقطار الدنيا، فعلى مخالفهم منا ومن الخصم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وبيننا وبين الخصم تحكيم النصوص عنهم أولا ثم المباهلة فنجعل لعنة الله على الكاذبين وإنا أو إياهم لعلى هدى أو فى ضلال مبين .

وقد سبق عن أهل البيت ما فيه كفاية لقوم يؤمنون (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم

---

(١) روى هذا الحديث مسلم والترمذى بألفاظ مختلفة وقد سئل عنه أحمد فضعفه كما ضعفه غيره وأجاب عنه بعضهم بأن المراد أن أهل البيت كلهم لا يجتمعون على ضلالة قال ونحن نقول بذلك ونقول إنهم لم يتفقوا على شىء من خصائص مذهب الرافضة بل هم المنزهون عن التدنس بشىء منه والثابت عن جميع علماء أهل البيت من بنى هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين وولد الحسن وغيرهما أنهم كانوا يتولون الشيخين ويفضلونهما على على وقد ذكر ذلك الدارقطنى وعبد الله بن أحمد والخلاب وابن بطة والآجرى واللالكائى والبيهقى وأبو ذر الهروى وأبو حفص بن شاهين والإمام أحمد وأبو نعيم والثعلبى اه ملخصا من منهاج السنة .

(٢) أى فان كان الأحق أهل بيته الخ .

في طغيانهم يعمهون) (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) .

قدح الخصم في الخلفاء الثلاثة ورده

وأما ما اجترأ عليه عدوّ الله من القدح في الثلاثة الخلفاء رضي الله عنهم فقد علمت مما سبق أن القدح فيهم خاصة وفي سائر الصحابة عامة يؤدي إلى الكفر الصريح الذي ليس بعده كفر فاتّخِذ ذلك أصلا تردّ به تزويرات أهل الأباطيل ، وتحمل به ما صح وثبت على أجمل المحامل وأحسن التأويل .

وكان الأولى بنا أن لا نلوث كتابنا بما ألقاه ونجعل لهم أسوة بما قد افتراه أعداء الله على الله :

قد قيل إن الإله ذو ولد　　　وأن هذا الرسول قد كَهَنَا
فما سلم الله من بريّته　　　ولا رسولُه فكيف أنا

لكن رأينا أن نكافئه عنهم بسوء فعله ونكشف الغطاء عما غره من قبيح جهله بنكت تشير إلى الجواب وتهدي إلى جادّة الصواب .

الرد على الخصم في قصة أم محمد بن الحنفية

أما قوله إن عليا رضي الله عنه قد استنقذ أم ابنه محمد بن الحنفية من يد أبي بكر إذ كان لا يجوز لأبي بكر سبيها فهذه العبارة الخشنة من أين لفقها وعمن تلقفها أم من هواه اختلقها أم من مخارق أهل مذهبه الفاسد اخترقها ، بل المحمل الصحيح في ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه رأى جواز سبي نساء أهل الردة قياسا على الكفار الأصليين فوافقه الصحابة يومئذ على ذلك وهي مسألة اجتهادية للاحتمال فيها مجال ثم ترجح بعد ذلك للصحابة الفرق بين الكافر الأصلي وبين المرتد فلا تسبى ذراري المرتدين وكانت خولة أم ابنه محمد من السبي .

فان صح أن عليا جدد نـكاحها من وليها أو غيره فمحمول على الورع والاحتياط ، قبل ترجيح عدم جواز سبى المرتدين ، وعلى تدارك الصحة إن كان بعد الترجيح [1] ولا يترتب على ذلك قدح ولا ذم أصلا .

أما قوله لأنها من قوم لم يجر منهم مايوجب القتال فان كانت هذه الفترى منه على دين محمد صلى الله عليه وسلم فـكذبَ عدوُّ الله لانعقاد إجماع الأمة على أن بنى حنيفة ارتدوا وادعى فيهم مسيلمة الـكذاب لعنه الله النبوة وافترى على الله وقال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء وقال سأنزل مثل ماأنزل الله وتزوج بسجاح اليربوعية المدعية للنبوة أيضا وأمهرها أن حطَّ عن قومها صلاتى الصبح والعشاء ولا خلاف بين المسلمين فى كفرهم .

كفر على بن الفضل القرمطى الاسماعيلى

وإن كان على مذهب إمامه وقدوته عدوّ الله (على بن الفضل القرمطى) فصدَق لأنه لما استولى على اليمن وتمـكن أظهر ماتضمره الاسماعيلية من المذهب الخبيث وادعى أولا النبوة وكان يؤذن المؤذن بين يديه أشهد أن على بن الفضل رسول الله وأستباح المحظورات وأحل الخمر والزنى ونـكاح البنات وأنشد أبياته المشهورات .

خذى الدُّف ياهذه واضربى ... وغنى هزازيك ثم اطربى
تولى نبىّ بنى هاشم ... وهـذا نبى بنى يعرب
لـكل نبى مضى شرعة ... وهذى شريعة هـذا النبى

---

(١) فى العبارة غموض والظاهر أن قوله أولا قبل ترجيح أصله بعد ترجيح وقوله ثانيا بعد الترجيح أصله قبل الترجيح تأمل وحرره والله أعلم .

فقد حطّ عنا فروض الصلاة ... وحطّ الصيام فلم تتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى ... وإن صوّموا فكلى واشربى
ولا تطلبي السعى عند الصفا ... ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعرسين ... من الأقربين ولا الأجنبي
فكيف حللت لهذا الغريب ... وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربّه ... وأسقاه فى الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السما ... حلال فقدّست من مذهب

بل قبحه الله من مذهب .

ثم ادعى الربوبية ثانيا فكان إذا كتب كتابا قال فيه من باسط الأرض وداحيها و مزلزل الجبال ومرسيها على بن الفضل إلى عبده فلان ، فلا رحم الله مثواه ولا بلّ بشىء من وابل الرحمة ثراه .

فمن كان هذا إعلان إسراره وعنوان صحيفة إضماره فكيف يميل إلى مذهبه من يدعى الإيمان فضلا عن أن يعتقده أقوم الأديان (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) .

إمرة أبى بكر على علىّ وصلاة علىّ خلفه

وأما قول عدوّ الله إن عليا لم يتأمر عليه أبو بكر[1] ولا غيره ولا صلى

---

(١) قد سبق فى فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية أن أبا بكر تأمر على على فى حجته التى أقام فيها مناسك الحج بأمره صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع اهـ .

وأقول إنه صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر فى هذه الحجة كاستخلافه عنه فى الصلاة فى مرضه فيكون قد استخلفه مرتين مرة فى حالة الصحة ومرة فى حالة المرض وفيهما إشارة ورمز إلى خلافته بعده مباشرة فافهم .

خلف أحد من الخلفاء قبله فكذب مفترى ، وقد سبق تصريح على نفسه بأنه بايع أبا بكر وعمر طائعا وعلى ذلك أنعقد الإجماع لكن لم يبايع أبا بكر إلا بعد مضى ستة أشهر من خلافته وأعتذر إليه عن تخلفه ، وقد سبق فى خطبة على أيضاً أن أبا بكر صلى بالناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أيام[(١)] ولم يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر فى تلك المدة ، ولا معنى للسؤال عن ذلك لأنه إنما أقامه نيابة عنه لعدم قدرته على الصلاة بالمسلمين وكفى لأبى بكر فخرا قيامه مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم فى عمود الاسلام .

رد قول الخصم فى دفن الشيخين فى القبر الشريف

وموضع قبر النبى صلى الله عليه وسلم كان ملكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه تركة بعده تصرف فى المصالح ولأزواجه بعده فى ذلك حق السكنى كما لهن حق الانفاق من صدقاته ثم يصير فيئًا للمسلمين فلما قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى حجرة عائشة رضى الله عنها بقى ذلك الموضع الباقى مستحقا لعائشة فيه السكنى والبيت بيتها تأذن لمن شاءت فأذنت لأبيها فى ذلك ثم استأذنها عمر عند موته وأمر باستئذانها بعد موته أيضاً وأذنت له حيا وميتا .

وقد سبق ذكر قول على فى عمر إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر بقبر يحفر فقال قبر من هذا فقالوا قبر فلان الحبشى فقال سبحان الله سيق من أرضه إلى الأرض التى خلق منها ، وقال على إنى لاعلم لابى بكر وعمر فضيلة ليست لأحد خلقا من تربة خلق منها النبى صلى الله عليه وسلم أورده المحب الطبرى .

وكفى بهذه شهادة من المصطفى ومن على لهما بان جعلهما عنده من أكبر المناقب فكيف يصادم عدو الله قولهما ويجعل ذلك من أقبح المثالب ؟؟

---

(١) وظاهر أن عليا لايترك صلاة الجماعة بل كان يصلى خلف أبى بكر فى هذه الأيام السبعة كما كان يصلى خلف الرسول صلى الله عليه وسلم فى غيرها .

الرد على الخصم فى ادعاء الوصية لعلى بالخلافة

وأما تركه صلى الله عليه وسلم الوصية بتعيين الخليفة بعده فقد سبق أنه صلى الله عليه وسلم اشفق على أمته من أن يحصل منهم عصيان لخليفته أو خليفة خليفته وهلم جرا فيحل بهم العذاب فوكل ذلك إليهم ليجمع لهم بين فضيلة الاجتهاد وبين السلامة من الوقوع فى المحذور ولو بعد حين ، ودعوى الخصم الوصية لعلى خلاف الإجماع إن أراد بذلك الخلافة الكبرى وأما فى أمور جزئية فمسلم .

وكون على رضى الله عنه يسمى وصياً فقد سئل عنه على فقال لا ، وقد سبق قوله لم يعهد إلينا فى ذلك شيئاً ، وإنما هو شىء رأيناه من أنفسنا فهو تكذيب لعلى نفسه .

هذا مع إجماع المسلمين على تسمية الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على أنه لم يستخلفه فان صح تسمية على بالوصى فكذلك .

الرد على الخصم فى طعنة على عثمان

ونزول أبى بكر وعمر عن مجاس النبى صلى الله عليه وسلم فى المنبر أدب ليس بواجب ، وعود عثمان إلى مجاس النبى صلى الله عليه وسلم اتباع لسنة النبى وعمل بما عمل وهو أفضل يومئذ لما فيه من المصلحة لأنه يترتب على ذلك لو بقى كل خليفة ينزل درجة تبين هجران سنة المنبر ، ولكان الخليفة اليوم يخاطب الناس وهو فى تخوم الأرض .

وإذا صحت إمامته نفذت تصرفاته كلها من الأخذ والعطاء والنفى والابقاء بنظر المصلحة .

وفدك[1] صارت بالإجماع غير ميراث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان مذهب عثمان وكثير من العلماء أنها للوالى بعده لأنه القائم مقامه فاستحقها عثمان كلها ووهبها لأرحامه ، وعند الباقين أنها صارت فيئاً للمسلمين من جملة المصالح العامة يتصرف فيها الوالى كيف شاء بحسب ما يراه من المصلحة .

وعلى كل تقدير فقد اتفقوا على تصويب عثمان فيما فعله فيها وفى غيرها ماسوى عدو الله وأهل مذهبه .

الرد على الخصم فى طعنه على عمر

ولو أن عمر رضي الله عنه قتل ألفا من أمثال سعد بن عبادة وأمثال الزبير حملناه على الصواب وموافقة حكم الله[2] بعد أن نصحح إمامته لأن تصرفات الأئمة لاسيما عمر محمولة على الصحة مالم يعلم مخالفتها لنص فضلا عن تخطئته بضرب أو كسر سيف لاصحة له ، وقد قال يوم أوصى بالخلافة شورى بين الستة وهو فى تلك الحالة إذا اتفق أربعة منهم على رأى وخالفهم اثنان أى من الستة المذكورين فاشدخوا رؤسهما بهذا السيف فنظرهم رضى الله عنهم مصروف إلى مايصلح الأمة وحسابهم على الله تعالى لا إلى محاباة زيد وعمرو .

بيان ما أشكل على الخصم

وكراهته صلى الله عليه وسلم أن ينتشر إخباره بالخليفتين من بعده محمول على أمر الله له بذلك وهو مأمور بالتبليغ فيما أمر بتبليغه وبالكتمان فيما أمر بكتمه ومخير فى أشياء يبلغها ان شاء ويخبر بها من شاء ويكتمها على من يشاء ومن المحتوم عليه التبليغ فيه تبليغ القرآن ومتى لم ينص على شىء لا يقال لم لم ينص عليه وإنما علينا قبول ماجاء عنه من غير اعتراض بعقولنا القاصرة عن إدراك أسرار النبوة .

---

(١) فدك محركة بلدة بخيبر قرب المدينة .

(٢) هذه مبالغة كثيرة وكان ينبغى التعبير بغيرها .

والخلافة باقية إلى الآن بمصر[١] فى بنى العباس لايصح عندهم تولية سلطان إلا بعقد يعقد له من الخليفة القائم فى كل عصر .

* * *

ونكاح عمر رضى الله عنه لأم كلثوم[٢] متفق على صحته ومذهب جمهور السلف والخلف أن الكفاءة فى الحرية والدين والعفة كافية وقد زوج صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت قيس القرشية من مولاه أسامة بن زيد واختاره لها على قريش وليس لها ولى غير الشرع ، والغبطة والمصلحة عند ولى أم كلثوم بنت على كانت أظهر من الشمس ، وإنما خفيت على حزب الشيطان ، وما اعتبره الشافعى من مراعاة الكفاءة فى النسب أيضاً مذهبه الجديد والمسئلة اجتهادية واختلاف المجتهدين فى الفروع لاقدح فيه .

* * *

وكل مانقل فى أمر فدك من ميراث أو غلة شىء منها فان تقرير علىٍّ لها على ما كانت عليه أيام الخلفاء قبله يكذِّب ذلك كله .

سفاهة شيعى فى عهد السفاح العباسى ورده

وقد قام بعض العلوية فى جامع الكوفة والمصحف فى عنقه بين يدى السفاح أول خلفاء بنى العباس وناشده الله أن ينصفه ممن ظلمه ، قال ومن ظالمك؟

---

(١) ذلك كان فى عهده أما الآن فقد زالت الخلافة من مصر وغيرها من أقطار الإسلام بانقراض الدولة العباسية وما قام فى عهدها وبعدها من الدول التى تدعى الخلافة وزالت الخلافة من الوجود أخيرا بانكسار الدولة العثمانية إثر الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م .

(٢) الذى زوج عمر أم كلثوم هو وليها على كرم الله وجهه فعلى من اعتراض الخصم أعلى عمر أم على على وهل هو أدرى بشروط الكفاءة من على نفسه . إنه لغريب .

قال أبو بكر أخذ ميراث فاطمة من فدك قال فهل كان بعد أبى بكر خليفة قال نعم عمر قال فما فعل فيها؟ قال أقام على ظلمنا قال فهل بعده من خليفة قال نعم عثمان قال فما فعل ؟ قال أقام على ظلمنا قال فهل بعد عثمان من خليفة قال نعم على قال فما فعل فيها فبهت فقال السفاح وايم الله لولا أن هذا أول مقام قمته فيكم لنكلت بكم ، فقل لاعداء الله مامنع أيضاً عليا أن يعمل فيها ما يضمرونه فى أنفسهم أيام خلافته (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ آلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم الا كالا نعام بل هم أضل سبيلا) (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)

الخاتمة

فى زيادة شرح لقوله صلى الله عليه وسلم « إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به الحديث ، والحث على حب أهل البيت واكرامهم ، وفيها فصلان :

الفصل الأول

فى نكت لطيفة فى شرح الحديث المذكور

فقوله إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به أى الذى إن تمسكتم به فما موصولة والجملة الشرطية صلتها ، أو شيئاً إن تمسكتم به فهى نكرة موصوفة بالجملة الشرطية ، والتمسك بالشىء التعلق به وحفظه .

وقوله أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله إنما كان القرآن أعظم لأنه أسوة تقتدى به العترة المأمور بالاقتداء بهم أيضاً كما يقتدى به وبهم سائر الناس .

وقوله حبل ممدود من السماء إلى الأرض : لما ذكر التمسك حسُن أن يشبه القرآن بالحبل الممدود من السماء إلى الأرض، ووجه الشبه بينهما أن من وقع فى بئر أو مهواة فسبيل نجاته وانقاذه أن يدلى له حبل من أعلى ليمسك به فيرتفع ولما كان الناس[1] قبل نزول القرآن واقعين فى مهواة الهلاك من الكفر والضلال المفضى بهم إلى خسران الدنيا والآخرة ، وبعد نزوله واقعين فى مهواة طبائعهم مشغولين بشهوات أنفسهم معرضين عما يهمهم من أمر آخرتهم المفضية بهم إلى الانحطاط عن الرتبة العلية الفاخرة ثم أنزل الله سبحانه كتابه الذى بصر به بعد العمى وهدى به بعد الضلال وأحيى به القلوب بعد موتها واستنقذ به النفوس من أسر شهواتها رفعهم بذلك من تلك المهواة المهلكة إلى سواء طريق النجاة الموصلة إلى الفوز العظيم والنعيم المقيم وقد قال الله تعالى فيمن وقع فى مهواة شهواته الدنية وانحط عن رتبة الهمة العلية (ولو شئنا لرفعناه بها) أى بآياتنا إلى منازل الابرار ومراتب العلماء الاخيار (ولكنه أخلد إلى الأرض) أى مال إلى الدنيا ، ولما كانت الأرض سفلا للسماء المرفوعة عبر باستفال درجته عن الأرض السافلة بعد تعبيره عن علو درجته بالرفعة (واتبع هواه) ولم يتبع مقتضى آيات الله لحق عليه ماحق من الخسران والعياذ بالله .

وقوله وعترتى أهل بيتى : عترة الرجل بكسر العين المهمله وسكون التاء المثناة من فوق تطلق على عشيرته الأقربين والأبعدين ولهذا قيده هنا بقوله أهل بيتى ليبين أنه أراد بذلك أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وهم عند الجمهور من حرم الصدقة من بنى هاشم والمطلب ابنى عبد مناف .

---

(١) جواب لما قوله بعد رفعهم بذلك من تلك المهواة ألخ .

ومعنى التمسك بالقرآن العمل بما فيه بامتثال أوامره واجتناب مناهيه ، ومن جملة ذلك تعظيم ماعظمه الله من عباده النبيين والمرسلين والملائكة وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفةُ مايجب لهم من الحرمة والتكريم والمحبة لإجلال الله ورسوله لهم وحبهما لهم .

ومعنى التمسك بالعترة اتباعهم فيما اتبعوا فيه حكم الكتاب وطاعتهم فيما أطاعوا فيه الله ورسوله ومحبتهم لله ورسوله من غير إفراط بغلوٍ ولا تفريط بتقصير .

وقوله لن يفترقا حتى يردا على الحوض : أى أن أهل بيتى الذين أوصيكم بالتمسك بسيرتهم كما أوصيتكم بالتمسك بالقرآن إنما جمعت لكم بين الوصية بهما لالتزام أهل بيتى أحكام القرآن فى سيرتهم التى هم عليها حال الوصية وأنهم لايزالون عليها حتى يلقوا الله تعالى ملازمين لحكم القرآن فيبعثون على ما ماتوا عليه .

والوصية بالتمسك راجعة بالاصالة إلى الموجودين من أهل البيت وهم على وابناه والعباس وبنوه وغيرهم ، وبالتبعية إلى كل من سيحدث من نسلهم إلى آخرهم إن لم يفارق حكم القرآن المأمور بالتمسك به قبله ، ولم يبطل حكم الاقتران بالمخالفة ، ولم يقطع رحم المصطفى بمخالفة سنته السنية ورحم أهل بيته العابدين الطاهرين بمخالفة سيرتهم المرضية .

ولاشك أن أهل بيته الذين أمرنا يومئذ باتباعهم والتمسك بهم قد ظهر فيهم صدق الملازمة بينهم وبين كتاب لله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وامتازوا بذلك عن كافة من ابتدع فى الدين وخالف الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالحين وذلك لكثرة ماانتشر عن على وابن عباس رضى الله عنهما من تفسير كتاب الله وإيضاح معانيه وكشف أسراره ثم من نشرِ الحديث والفقه ، ثم من على بن الحسين وابنه جعفر وأمثالهم ومن مشى على منوالهم من بيان

أسرار العلوم والحكم والمواعظ وسياسات النفوس إلى مالا يحصى مع اتفاق السلف والخلف على أنهم على هدى من ربهم وأنهم لم يفارقوا فى سيرتهم حكم الكتاب والسنة ، ومع اتفاقهم على أن الصحابة والتابعين لهم باحسان على هدى من ربهم ملتزمون لأحكام الكتاب والسنة ، وأن الكل حزب واحد وفريق متحد متناصرون على الحق متعاونون عليه خصوصا أهل البيت مع الصديقين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فان موالاة على وابن عباس وبنيهما لهما وثناءهم عليهما وغير ذلك مما قد سبق الاشارة إلى نبذة منه لايحتاج إلى إقامة دليل ولم ينقل عن واحد منهم الغض من منصبهما الجليل فضلا عما اتخذه دينا من يزعم أنه من ولاة أهل البيت من التفسيق والتضليل وغير ذلك من الأباطيل .

* * *

وإذا ثبت أن أهل البيت المذكورين كانوا نصرة لمن ذكرنا من الصحابة ، وثبت أن الكل لم يفارقوا حكم الكتاب وأن بعضاً لم يضل بعضا فهل خلف هؤلاء السادة المذكورين أحد من حزب الضلال المبتدعة المخالفين لسنتهم المائلين عن طريقهم الذين أجمع السلف والخلف من الصحابة فمن بعدهم وعلى وبنوه وابن عباس وبنوه ومن حذا حذوهم من السادات أهل البيت أن ما هم عليه بدعة فى دين الله مخالفة لكتاب الله مباينة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مصادمة لما أجمع عليه السلف والخلف من هو أهدى من أولئك[1] فان قال الخصم نعم فقد اعترف بتنقيصه عليا وبنيه ، وكذَّبه الحس والعيان والسنة والقرآن ، وإن قال لا فقد اعترف بأن ما أختاره لنفسه مخالف لما عليه على وأهل بيته الأطهار ، وإن زعم أن ما هو عليه هو دين على وآله كما صرح به فى نظمه فقد اغتاب السادة وعليه البيان على دعواه من نصوص الكتب التى نقل منها فضائل على وأهـــل البيت وهى بيننا وبينه محكمة وإلا

(١) قوله من هو أهدى بدل من قوله أحد من حزب الضلال تأمل .

أقمنا الحجة فيها على دعوانا ، وإن زعم أن ما فيها مفترى كما هو معتقد جَنانه والظاهر من صفحات وجهه وفلتات لسانه فقد أبطل فضائل على وسائر أهل البيت ويلزمه إبطال جميع ما فيها من السنة من التوحيد والنبوة والصلاة والصيام وغير ذلك إذ لا فرق إلا لمجرد الهوى وهو مراده لو حصل لكن (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وإذا تبين أنه على ضلال تبين أنه ومن والاه وانتحل مذهبه ممن يزعم أنهم أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم قد فارقوا حكم القرآن ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ورفضوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعوا الرحم التى أمر الله بها أن توصل وضللوا سادات أهل البيت عليا وابن عباس وبنيهما فاستحقوا أن يقال لهم ماقال سبحانه وتعالى لنبيه نوح عليه السلام لما قال إن ابنى من أهلى إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، وماقاله فيمن زعم أنه أولى الناس بابراهيم لكونه ولده (إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) وماقاله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن آله فقال آلى كل تقى إلى يوم القيامة ، وما قاله فى بعض المنتسبين إليه : يزعم أنه منى وليس منى إنَّ أوليائى

---

(١) يشير إلى أن من كان من أهل البيت إذا انتحل هذا المذهب فقدفارق حكم القرآن والسنة وقطع الرحم التى أمر الله بها أن توصل وكان كابن نوح وذلك حق لامرية فيه فلينظر هل كان الفاطميون بمصر يعتنقون هذه النحل الضالة كما يقول دعاتهم أم كانوا أبرياء منها وهل أقروها أم أنكروها . والله أعلم .

وكذلك من يزعم أنه يوالى أهل البيت ومع ذلك ينتحل هذه النحل الضالة فإنه مع مفارقته حكم القرآن والسنة واجماع المسلمين مفارق ومخالف لأهل البيت انفسهم السائرين على نهج النبوة والصحابة أجمعين .

إلا المتقون ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنا لك وانقلبوا صاغرين .

وعلم أن الملازمة بين أهل البيت المذكورين أولا ومن تبعهم وبين القرآن ملازمة صحيحة فكل من تمسك منهم بالقرآن حتى مات صدق عليه أنه لم يفارق القرآن ولم يفارقه القرآن حتى لقى الله فلو فرضنا مثلا أنه لم يوجد من أهل بيته إلا الموجودون حال إشارته إليهم والوصية بالتمسك بهم ثم ماتوا لصح أن يقال إن أهل البيت والقرآن لم يفترقا حتى وردوا القيامة فكذلك إذا خالفهم طوائف الضالة من ذريتهم ولم يتّبعوهم على ما كانوا عليه صاروا بمثابة المعدومين ولا توارث بين أهل ملتين شتى ، أما فى الميراث الدنيوى فحكمه مبنى على المخالفة الظاهرة بالكلية لأن أحكام الدنيا منوطة بالظواهر حتى أنا نورث من قال لا إله إلا الله بلسانه وكفر بالله بجنانه وعصاه بأركانه ، وأما فى الميراث الدينى فآله صلى الله عليه وسلم الذين يرثون ميراثه كل بَرّ تقى وإن أولياؤه إلا المتقون .

وإذا تقرر هذا فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم مأمور بالتبليغ وإقامة الحجة وقد أطلعه الله على ما سيلقى على وبنوه من المحنة وعدم اجتماع الكلمة عليهم فأشار بهذه الوصية أن علياً كما أنه اليوم ملتزم لحكم الكتاب فإنه أيضا لا يزال كذلك إلى أن يلقى الله فمتى دعاكم إلى طاعته فاطيعوه وندبكم إلى إجابته فاتبعوه فإنه يدعوكم إلى حكم الكتاب ويسلك بكم المحجة العظمى ويهديكم إلى الصراط الأقوم وستجدونه هاديا مهديا .

ولم تتفق من على رضى الله عنه دعوة إلى اتبّاعه ولزوم طاعته فى مدة الخلفاء الثلاثة قبله باتفاق من الأمة فلما آن أوان دعوته المشار إليها وبويع له بالخلافة لم ينازعه أحد قط فى اسم الخلافة ولم يشك أحد فى تأهله لها وأحقيته

سها وإنما حصل بينه وبين من خالفه من مجتهدى عصره نزاع فى مسألة اجتهادية مال كل إلى قول فيها من المبادرة إلى قتلة عثمان والتوقف وجرى بينهم ما جرى به القلم فكل منهم معتقد أنه على الحق وأنه مجاهد على دين الله وأنه لو قصر فيما هو فيه فقد خان الله ليقضى الله أمرا كان مفعولا فنهم من اتضح له الحق بعد ذلك أنه فى جانب على كالزبير وطائفة كثيرة يوم قتل عمار بن ياسر ، ومنهم من بقى على ماهو عليه حتى لقى الله .

ولقد عاتب بعضهم الصديقيه الكبرى بنت الصديق الأكبر أم المؤمنين المبرأة بنص التنزيل عائشة رضى الله عنها وعن أبيها على رغم أنف شانئيه وشانئيها على قيامها فى ذلك الأمر فقالت ما أود أنى تركت ذلك القيام ويكون لى به من رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أولاد ذكور وذلك فى آخر عمرها فدل على أنها لم يترجح لها خلاف ذلك لكن أجمع الخلف من التابعين وجمهور السلف على أن عليا رضى الله عنه كان مجتهدا مصيبا فله أجران ومخالفيه يومئذ كانوا مجتهدين مخطئين فلهم أجر وكلا وعد الله الحسنى ، وجمهور المخالفين له منهم من هو مشهود لهم بالجنة وهم من كان من أهل بيعة الرضوان المحكوم لهم بالرضا الذى لا يتبدل من رب العالمين ومن رسوله بتحريمهم على النار ، ومنهم من هو من أهل بدر الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر بشهادة الصادق المصدوق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الفصل الثانى

فى الحث على محبة أهل بيته صلى الله وسلم عليه وعليهم والتنبيه على جلالة قدرهم وعلو مجدهم وفخرهم .

أعلم أن الناس ما بين مفرط فى ذلك ومفرّط « وكلا طرفى قصد الأمور

ذميم » وقد علمت من هو الأولى بهذا الاسم أى التسمى بأهل البيت ، وعلمت أيضا ما يجب من حبهم واحترامهم والتحذير من إهانتهم واحتقارهم نصحا لأمته وشفقة عليها ان لا تهين من أكرمه الله فيهينها الله ومن يهن الله فماله من مكرم .

(فمنها) قوله صلى الله عليه وسلم « أحبوا أهل بيتى لحبى » أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه على شرط الشيخين .

وقال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لا يدخل الإيمان قلب رجل حتى يحبكم لله ورسوله » أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل « وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى كررها ثلاثا » أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه رحمهم الله إلى غير ذلك .

وناهيك بذلك فخراً لأهل البيت لما يتضمنه ذلك من شرف منصبهم وإيجاب حبهم واحترامهم وتأدية حقوقهم والإحسان إليهم والمحافظة على ذلك كله والتحذير من ضده إكراماً لسيد المرسلين وخاتم النبيين ، وإذا كانت العقول والعادات بل والشرائع تقتضى إنزال الناس منازلهم واحترام أبناء الفضلاء ومن ينسب إليهم سواء اتصل المأمور بذلك منهم بإحسان أم لا حتى أمر الله وليّه الخضر ونجيّه موسى بمراعاة من كان أبوهما صالحا فما ظنك بمن يدلى إلى من أرسله الله رحمة للعالمين ومنّ به على المؤمنين وأنقذهم به من خسران الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ، ومن هو النعمة العظمى لمغتنم فأى رقبة لم تتقلد بمننه الجليلة ؟؟ وأى فرقة لم تستغرقها أياديه الجزيلة ؟؟ .

وإذا كانت أبناء الرجل الرئيس بل وعشيرته بل وغلمانه وأتباعه بل

وقبيلته بل وأهل بلده بل وأهل قطره بل وأهل عصره قد يسودون بسيادته ويشرفون بشرف رياسته ويفتخرون على من سواهم بفضله ويعلون بعلو منصبه ونبله فهل أحد أجل قدرا وأعظم مرتبة وفخرا ممن ينتسب أهل البيت إليه ويعولون فى الدنيا والآخرة هم ومن سواهم عليه ، خِيرة العالم ، وسيد ولد آدم ، صاحب الحوض المورود ، واللواء المعقود الذى آدم فمن دونه تحته ، والمقام المحمود الذى يغبط به الأولون والآخرون ، والشفاعة العظمى التى يعجز عنها أولو العزم ويقول أنالها ، أنالها ومن كان هذا شأنه فنسبة كل شرف إلى شرفه كقطرة فى البحار الزاخرة .

وإذا تشرف قومٌ غيره وأجلُّوا واحترموا لشرف من انتسبوا إليه فشرف أهل البيت النبوى أولى ، وقدرهم الرفيع أعلى وبينهم وبين غيرهم فى الشرف مثل ما بين من تشرفوا به وبين غيره من البون .

ومن هنا خصوا بمشروعية الصلاة عليهم تبعا له صلى الله عليه وسلم فى كل مقام شريف من خطبة وصلاة وغير ذلك حتى أوجبها طائفة من العلماء كما هو وجه فى مذهبنا مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى أهل بيتى لم تقبل منه » أخرجه الدارقطنى .

ويقول جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد ما رأيت أنها تقبل ، وعليه قيل :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من القرآن الله أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقد كانت قلوب السلف الأخيار والعلماء الأحبار مجبولة على حبهم واحترامهم ومعرفة ما يجب لهم طبعا .

وبالجملة كل من فى قلبه مثقال ذرة من تعظيم المصطفى صلى الله عليه وسلم وحبه فمصداق ذلك تعظيم وحب كل من ينسب إليه بقربة أو قرابة أو صحبة أو اتباع سنة إذ كل ما ينسب إلى المحبوب محبوب :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

فمن قام من أهل البيت بحفظ حدود الشريعة المطهرة فقد تحققت فيه القربة والقرابة وحاز فضيلة الحسب والنسب وتوفرت فيه فضيلة الشرفين من الجهتين ، ومن لم يسبق له نصيب وافر فى الميراث النبوى ولكنه لم يفارق الملة الفراق الموجب للحجب بقى على ميراثه فى حق القرابة وروعيت فيه حقوقها وكذا من ارتكب معصية لا تقتضى إخراجه عن الملة لم يوجب ذلك اطراح ماله من الحقوق وتوكل إساءته وتقصيره عن الالتحاق بسلفه إلى الله إذ صلة الأرحام مأمور بها مع القطيعة والعقوق وهو صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك إلا فيما لا بد منه من إجراء الأحكام وإقامة الحدود فتراعى حرمة الشريعة حينئذ لأن حقهم إنما وجبت مراعاته لأجل صاحب الشرع فاذا عارضه حق صاحب الشرع نفسه تلاشى كل حق دون حقه وكان حق الله ورسوله أولى .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «أحبوهم لحبي إياهم فمتى أبغضتهم فأبغضوهم وقد علمتم شدة بغضى لمن خالف سنتى فسيروا فيهم سيرتى وكونوا معى» .

وقال أيضا حتى يحبوكم لله ولرسوله أى لا للهوى فما داموا على الطريق المرضى الذى يحبه الله ورسوله وجب حبهم ، وإن سلكوا ما يسخط الله ورسوله وجب مراعاة حق الله لله ولرسوله فنحبهم لله ولرسوله ونبغضهم لله ولرسوله فان الولاية الأصلية ليست إلا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسواهما إنما تثبت له الموالاة بهما لا غير (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) .

وهذه قصيدة فيها انعطاف على ما سبق من أول الجواب إلى آخره مقابلة لأبيات المبتدع وهى على روى أبياته ومن بحرها[1] أيضا ولكن نصبناها لتطابق الواقع فإن البدعة لم تزل مخفوضة وأعلام السنة منصوبة (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين).

* * *

عَلَمُ المحجة واضح لمن اهتدى	لحذار من سبل الغَواية والردى
هذى شريعة أحمد الغراء قد	جليت كإسفار الصباح إذا بدا
بيضاء كالشمس المنيرة ليلها	كنهارها فتوخَّها لك مقصدا
وأستنّ سنته القويمة واعتصم	بكتابه وحديثه تلق الهدى
وإذا أظلك ليل شبهة بدعة	حار الغوىّ بتيهها وترددا
فبأى أنجم صحب أحمد تقتدى	تهدى وحق بمثلهم أن يهتدى
قد صح عمن ليس ينطق عن هوى	هذا عموما مطلقا ومقيدا
وبسنة الخلفاء قال عليكم ال	هادين منهم موصيا ومؤكدا
وإلى اللذين عناهما من بعده	صرف الوصية آمرا أن يقتدى
أتراه أوصانا بذلك خائنا	أم ناصحا أم مغويا أم مرشدا
أو عن هوى أو كان غمرا جاهلا	من كان منهم مصلحا أو مفسدا
كلا لقد صدقت فراسته التى	صدرت وعن عين الحقيقة أوردا
أنّى وروح القدس ينفث ملهما	فى رُوعه ومعلِّما ومؤيدا
وبعصمة الملك القدير عن الخطا	أضحى يقول موفقا ومسددا
فلسورة النجم أُفتتح وأعدها	للملحدين به شهابا مرصدا
لو جال طرف الطرف فى آثار من	أخذوا بأطراف الحديث وأسندا
لرأيت قرة أعين من جنة	لمحبهم ولظى الحسود إلى المدى

(١) بحر الكامل.

كم قد أشاد بفخرهم طرًا وكم أفتى بمثنى فى الثناء وموحدا
ورمى الجهول محذرا من سبهم بنصال اسهم غيظه وتهددا
من بعـــد ما أثنى عليهم ربه بأجل أوصاف الثناء مرددا
كم سورة صالت على أعدائهم فالحشر بالأحزاب غار وأنجدا
والفتح قد ختمت بمسك ختامهم والنور أصبح زيتها متوقدا
ثم التى فضحت عداهم أفصحت ببيان معناها البديع منضدا
طعنت صدور الطاعنين وأردفت تروى المديح مطابقا ذم العدا
وبآل عمران الشهادة أنهم خير الورى وكفاك ذلك مشهدا
أترى الخبير بخلقه أثنى على من ليس أهلا للثناء ومجدا ؟؟
جهل الفلاح لهم وإجلال الرضا خبرا وصدقَ العهد عنهم مبتدا
أيقول أعددنا الجنان لهم وهم ممن طغى فى دين أحمد واعتدى؟؟
أو حل عقد رضا أحل عليهم وقضاه فى الذكر الحكيم مؤبدا
أو عنـــه عاقبةُ الأمور تغيب أو تخفى تقدس ربنا وتفردا
والله ما نزلت بذا آياته هزؤا ولا عبثا ولا جاءت سُدَى

خذها محكمة القوافى نصبها سر لخفض معارضيها قد بدا
نصبت لها أعلام فتح بعد أن خُفضوا بكثرة جمعهم فتبددا
وسم التصرف بالإشارة أيها ذا المستغيث فهـذه صلق العدا
فلت بفصل القول من برهانها حد القضايا المهملات بلا اعتداء
كم مزدهى بغروره قلبت له ظهر المجن فأولغت فيه المدى

عجبـا لمفتر بآل محمد أهدى الضلال لمحتذيه وما هدى
تخذ الهوى دينـا ويزعم أنه أضحى بعقد ولائهم متقلدا

أأراد سادات البرية حيدرا ... وبنيــه والحبر الخضم المزبدا
صدق الغوى فإنهم أهل لمــا ... اثنى ولــكن ما بهديهم أهتدى
أم كما زعم الغوىُّ على الذى ... يلقيه عن شيطانه متمردا
حاشا لقدرهم العلى وفضلهم ... عن زيغ من فى دين أحمد ألحدا
فقد افترىٰ كذبا عليهم مزريا ... بالسادة النجب الكرام أولى الندا
قرناء وحى الله لن يتفرقا ... حتى ورود الحوض بينهما غدا
نشروا عن التفسير فيه وما انطوى ... وشفوا به الأكباد من حر الصدا
ورووا حديث المصطفى حتى غدا ... بالرى للراوين أعذب موردا
وبصحبه اتحدوا وعنهم ناخوا ... وعليهم أثنوا الثناء معــددا
فلهم ولائى ما حييت عدوٌّ من ... عادوا وسلما للمسالم مسعدا
وعليهم من ربهم صلواته ... بعــد النبى مع السلام مجددا
وكذلك الصحب الافاضل ماحدا ... حاد فاطرب حين زمزم منشدا

✲ ✲ ✲

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) . (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا ، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الـكافرين) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

✲ ✲ ✲

وكان الفراغ من نسخ هذا الـكتاب من أصله فى شهر المحرم سنة ١٣٤٨ هـ .

بيد كاتبه الفقير فضل بن محمد بن عوض با فضل الحضرمى عفى عنه.

ويليه تذييل بقلم صاحب رسالة التصدير .

تذييـــــل

بقلم راجى عفو ربه حسنين محمد مخلوف

بينا فى التصدير أن من طوائف الشيعة : طائفة الشيعة الامامية وأن منهم غلاة ، زعموا مزاعم لا يقبلها عقل ولا يقرُّها نقل ، ونذكر هنا بعضها تبصرة وإرشاداً .

فرية الشيعة

ذكر العلامة الآلوسى فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ الآية . أن المعنى أنه صلى الله عليه وسلم أقرب إليهم من أنفسهم ، أو أشد ولاية ونصرة لهم من أنفسهم ، حيث لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم حقيقة بخلاف النفوس كما لا يخفى .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » الحديث .

(وأزواجه أمهاتهم) أى بمنزلة أمهاتهم فى تحريم النكاح واستحقاق التعظيم ، وأما فيما عدا ذلك فهن كالأجنبيات .

وقد نفى بعض الشيعة الأمومة عن عائشة رضى الله عنها زاعمين أن النبى صلى الله عليه وسلم فوض إلى علىٍّ ووكله أن يبقى من يشاء من أزواجه ويطلق من يشاء منهن بعد وفاته وقد طلق عائشة يوم الجمل فخرجت عن الأزواج ولم يبق لها حكمهن .

وقد ذكر هذه الفرية سليمان بن عبد الله البحرانى الشيعى فى كتابه الذى ألفه فى مثالب زعمها للصحابة فقال :

روى أحمد بن أبى طالب الطبرسى فى كتابه الاحتجاج عن سعد بن عبد الله أنه سأل القائم المنتظر وهو طفل فى حياة أبيه بقوله هل جعل الرسول صلى الله عليه وسلم طلاق نسائه إلى على كرم الله وجهه حتى إنه بعث يوم الجمل رسولا

إلى عائشة يقرعها ويهددها بطلاقه إياها إن لم تكف عنه فما معنى الطلاق الذي وكل فيه ؟ فقال هذا الطفل : إن الله تعالى عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فخصهن بشرف الأمهات، وقال صلى الله عليه وسلم لعلي : إن هذا الشرف باق ما دمن على طاعة الله تعالى فأيتهن عصت الله تعالى بعدي بالخروج عليك فطلقها وأسقطها من شرف أمهات المؤمنين . ثم روى الطبرسي عن الباقر نحو ذلك اه .

قال الآلوسي : وهذا لعمري من السفاهة والوقاحة والجسارة على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بمكان وبطلانه أظهر من أن يخفى وركاكة ألفاظه تنادى على كذبه بأعلى صوت ، ولا أظنه قولا مرضيا عند من له أدنى عقل منهم ، فلعن الله تعالى من اختلقه وكذا من يعتقده اه .

* * *

تأويل الشيعة للقرآن بالهوى

قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ أي أورثنا القرآن هذه الأمة التي اصطفاها الله على سائر الأمم وجعلها أمة وسطا وخصها بالانتماء إلى أكرم الرسل وأفضلهم ولكن الشيعة زعموا « كما قاله الطبرسي في مجمع البيان » إن المصطفين هم أهل البيت ، أو الأئمة خاصة ، ونسبوا ذلك إلى الباقر وجعفر الصادق ، وهو تخصيص لا دليل عليه والظاهر والسياق ينفيه . اه آلوسي .

* * *

ومن ذلك تأويلهم قوله تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ بأن الإمام المبين هو علي كرم الله وجهه على معنى أنه تعالى أحصى كل شيء فيه أو على معنى أنه خزانة المعلومات كاللوح المحفوظ ، ومن ذلك تفسير بعضهم آية : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ أنها بكسر الصاد أي إذا فرغت من النبوة فانصب عليا خليفة عنك اه . إلى غير ذلك من التأويلات المنحرفة لكتاب الله العظيم . اه آلوسي .

إنكار الشيعة للأحاديث الصحيحة

وقالوا فى حديث « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » لم يروه إلا أبو بكر وزعموا أنه مكذوب وطعنوا فى أبى بكر حيث لم يورث الزهراء من تركة أبيها صلى الله عليه وسلم ، وهذا إفك مفترى فإن هذا الحديث رواه حذيفة بن اليمان والزبير بن العوام ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، والعباس ، وعلى ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وروى البخارى أن عمر قال بمحضر من الصحابة فيهم : على ، والعباس ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص : أنشدكم الله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » قالوا : اللهم نعم ، ثم أقبل على على والعباس فقال : أنشدكما الله تعالى هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ، قالا نعم ، بل روى عن جعفر الصادق بمعناه .

قال الآلوسى : والتحقيق أن أبا بكر خص آية المواريث بما سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخبره فى حق من سمعه منه بلا واسطة يفيد العلم اليقينى بلا شبهة ويجب عليه العمل به .

ودعوى الزهراء فدكا بالوراثة إنما كانت لعدم سماعها هذا الحديث وهذا غير مخل بقدرها وكم من الصحابة من لم يسمع بعض الأحاديث مشافهة منه صلى الله عليه وسلم ، وأما حجرات الأزواج رضى الله عنهن فقد بنى صلى الله عليه وسلم لكل واحدة منهن حجرة وسلمها لها فملكتها بالقبض وصار لها حق التصرف فيها .

ولو أردنا استقصاء مفتريات الشيعة على اختلاف طوائفهم فى تأويل الكتاب وجحود السنة والطعن فى الشيخين وسائر الصحابة لضاق المجال عن عشر معشارها ، وحسبنا الآن هذا القدر ، والله المسئول أن يحفظ الإسلام من الجاهلين والكائدين أجمعين .

كتبه

حسنين محمد مخلوف

ترجمة

الإمام المؤلف

هو الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن المبارك بن عبد الله بن علي الحميري الحضرمي الشافعي الشهير ببحرق . ولد في ليلة النصف من شهر شعبان سنة ٨٦٩هـ بحضرموت ونشأ بها وأخذ عن علمائها ومنهم الفقيه العلامة محمد بن أحمد باحزقيل والإمام عبد الله بن أحمد بامخرمة وقد تلقى عنه العربية والفقه وأصوله وسيرة ابن هشام وجملة من العلوم والكتب الأخرى ومنهم الفقيه محمد بن أحمد بافضل ، ثم قصد زبيد وتلقى على علمائها فأخذ الحديث عن العلامة زين الدين محمد بن عبد اللطيف الشرجي ، وعلم الأصول والتفسير والعربية عن الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر الصائغ وقرأ عليه شرح البهجة الوردية .

وأخذ عن الشريف الحسين بن عبد الرحمن الأهدل وألبسه خرقة الصوفية المعروفة ، وصحب الشيخ أبا بكر العيدروس وأخذ عنه . ولما حج سنة ٨٩٤هـ سمع من الحافظ شمس الدين السخاوي .

* * *

وكان بارعا متفننا نحويا لغويا راسخا في العلوم متمهرا في المنظوم والمنثور وله اليد الطولى في جميع الفنون والمؤلفات الكثيرة فيها فألف في الحديث والتصوف والنحو والصرف والحساب والطب والفلك وغير ذلك .

وقد ولي القضاء في الشَّحر ثم اعتزله وقصد عدن فعظم قدره وجاهه عند أميرها مرجان .

ولما توفي مرجان رحل إلى الهند فلقي من السلطان مظفر تقديرا عظيما

وبقى بها إلى أن توفى فى أحمد أباد فى ليلة العشرين من شعبان سنة ٩٣٠هـ عن إحدى وستين سنة رحمه الله .

ومن مؤلفاته عدا كتابه (الحسام المسلول)

الأسرار النبوية فى اختصار الأذكار النووية .

ومختصر الترغيب والترهيب للمنذرى .

والحديقة الأنيقة فى شرح العروة الوثيقة وكلاهما له .

وعقد الدرر فى الإيمان بالقضاء والقدر .

والعقيدة الشافية فى شرح القصيدة اليافعية .

ومختصر المقاصد الحسنة وغير ذلك .

وقد ترجم له الامام السخاوى فى الضوء اللامع والشيخ عبد القادر العيدروس فى النور السافر والعلامة الزركلى فى الأعلام ، وذكرنا ترجمته فى صدر كتابه الحديقة الأنيقة رحمه الله وأثابه ونفع بعلومه ؟

كتبه

حسنين محمد مخلوف

مباحث رسالة التصدير والكتاب

(مباحث رسالة التصدير)

(مباحث الحسام المسلول)